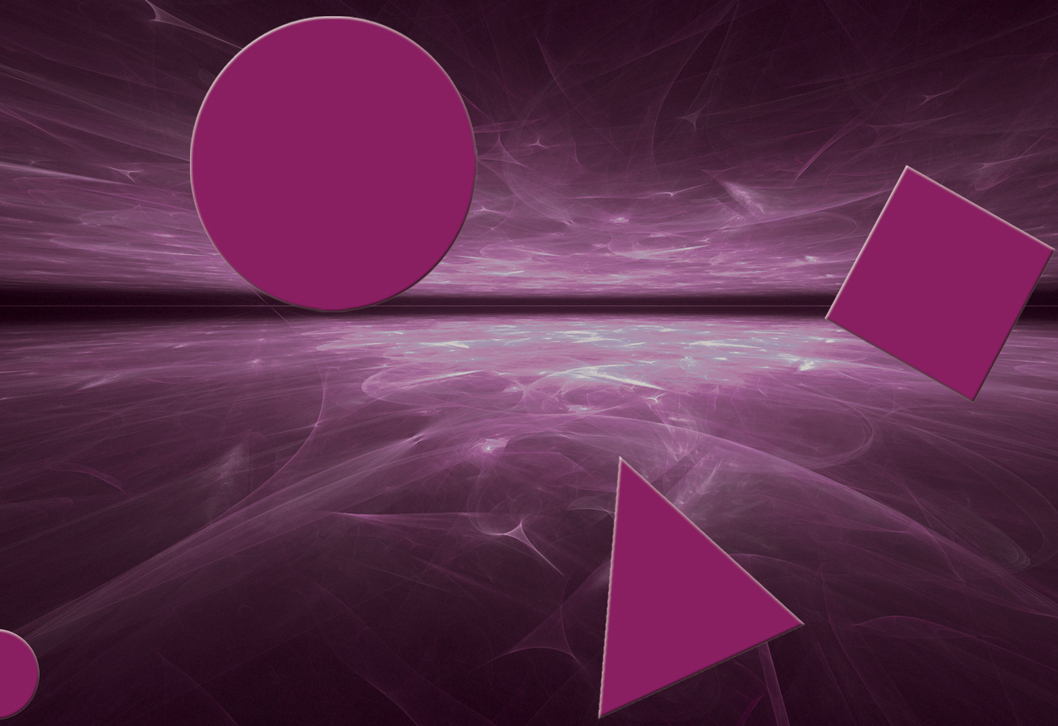
الأرض المسطحة

قصة خيالية متعددة الأبعاد



إدوين إبوت

الأرض المسطحة

الأرض المسطحة

قصة خيالية متعددة الأبعاد

تأليف
إدوين إبوت

ترجمة
سامح رفعت مهران

هنـــداوي

الأرض المسطحة

Flatland

إدوين إبوت

Edwin Ebbott

الطبعة الأولى ٢٠٠٨م
رقم إيداع ٢٠٠٨/١٩١٢٠

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + **فاكس:** ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إبوت، إدوين
الأرض المسطحة: قصة خيالية متعددة الأبعاد/إدوين إبوت.
تدمك: ٥ ١٨ ٦٢٦٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١–القصص العلمية

أ–العنوان

٨١٣,٠٨٧٦

المحتويات

مقدمة

بقلم بانيش هوفمان

مغامرة مثيرة في الرياضيات البحتة، قصة خيالية عن أماكن غريبة تسكنها أشكال هندسية، أشكال تفكر وتتحدث وتملك كل المشاعر الإنسانية. إنها ليست قصة ساذجة من قصص الخيال العلمي، وهدف هذه القصة هو التعليم، وهي مكتوبة ببراعة فنية، فإذا بدأت قراءتها فلن تستطيع الفكاك من أسرها، وإذا كنت لا تزال تتمتع بشباب القلب ولا يزال حيًّا في قلبك الشعور بالدهشة، فسوف تقرأ دون توقف حتى تصل إلى النهاية شاعرًا بالحزن، لكنك لن تستطيع أن تخمن زمن كتابة القصة ولا ملامح شخصية كاتبها.

أصبحت تعبيرات الزمكان والبعد الرابع هذه الأيام تعبيرات نألفها في بيوتنا، لكن **الأرض المسطحة** بتصويرها الحي للبعد الواحد والبعدين والثلاثة والمزيد من الأبعاد لم تظهر في عصر النسبية، فقد كُتبت منذ ما يزيد على سبعين عامًا، عندما كان أينشتين لا يزال طفلًا، وكان يفصلنا عن فكرة الزمكان نحو ربع قرن من الزمان.

من المؤكد أن علماء الرياضيات في تلك الأيام السحيقة كانوا يتخيلون فراغات بأي عدد من الأبعاد، وكان علماء الفيزياء أيضًا يعملون في وضع نظرياتهم على أشكال هندسية ذات أبعاد عشوائية، لكن كل هذا كان يتعلق بالنظريات التجريدية، ولم يكن هناك اهتمام شعبي بتفسيرها، بل كان العامة لا يكادون يعلمون بوجودها.

لذا قد يظن المرء أن إدوين إبوت ربما كان عالمًا في الرياضيات أو في الفيزياء حتى يكتب **الأرض المسطحة**، لكنه لم يكن أيًّا منهما،صحيح أنه كان معلمًا، بل مديرًا لمدرسة، وكان شديد البراعة، لكن كان مجال تخصصه الدراسات الكلاسيكية، وأبرز هواياته الأدب

وعلم اللاهوت اللذين كتب فيهما عديدًا من الكتب. هل هذه صفات الكاتب الذي يكتب مغامرة ممتعة في مجال الرياضيات؟ ربما لم يكن إبوت نفسه يرى ذلك، لأنه نشر رواية **الأرض المسطحة** باسم مستعار، كما لو كان يخشى أن تحط من قدر مؤلفاته ذات الطابع الرسمي، التي لم يتردد في نسبتها إليه.

لقد تغيرت أفكارنا عن المكان والزمن كثيرًا منذ خرجت رواية **الأرض المسطحة** إلى النور، لكن أساسيات الأبعاد لم تتغير على الرغم من كثرة الحديث عن البعد الرابع، وقد فكَّر العلماء في الزمن كبعد رابع قبل ظهور نظرية النسبية بوقت طويل، وكانوا يرونه عندئذ بعدًا منفردًا مستقلًّا عن الأبعاد الثلاثة التي تحد المكان، أما في نظرية النسبية فقد امتزج الزمن على نحو معقد بالمكان صانعًا كونًا ذا أربعة أبعاد حقيقية، واتضح أن هذا الكون رباعي الأبعاد كون منحن.

غير أن هذه الاكتشافات الحديثة لا تمثل أهمية لأحداث رواية **الأرض المسطحة** كما قد يظن المرء، إننا حقًّا نملك أربعة أبعاد، لكنها ليست جميعًا ذات طبيعة واحدة؛ فثلاثة منها أبعاد مكانية، والرابع زمني، ونحن لا نملك حرية التحرك في الزمن، لا نستطيع أن نعود إلى الماضي، ولا أن نمنع مجيء الغد، وليس بمقدورنا أن نسرع أو نبطئ من رحلتنا إلى المستقبل، إننا أشبه بمجموعة من الراكبين التعساء في مصعد مزدحم، نواصل الصعود دون توقف حتى نصل إلى الطابق المخصص لنا، فنغادر المصعد إلى مكان لا وجود فيه للزمن، بينما تواصل مادة أجسادنا رحلتها على متن المصعد الذي لا يكل — ربما إلى الأبد.

والزمن الطاغية هو صاحب السلطان في الأرض المسطحة كما هو في عالمنا، وتزيد أبعادنا بعدًا واحدًا عن أبعاد الأرض المسطحة في وجود النسبية أو عدمه، فما زلنا نملك ثلاثة أبعاد مكانية في مقابل بعديهم، وسكان الأرض المسطحة مخلوقات مرهفة الحواس، يكدرهم ما يكدرنا، وتتحرك مشاعرهم لما تتحرك له مشاعرنا، قد تكون أجسادهم مسطحة، لكن شخصياتهم متكاملة، إنهم أشباهنا؛ إخوتنا، إننا نمرح معهم في الأرض المسطحة، ثم نفيق فجأة في مرحنا لنجد أننا نعيد النظر إلى عالمنا الذي يسير على وتيرة واحدة، وقد اتسعت أعيننا في دهشة؛ دهشة الشباب.

نستطيع أن نفر من السجن ثنائي الأبعاد في الأرض المسطحة بأن ننتقل لحظة إلى البعد الثالث ثم نعود على الجانب الآخر من سور السجن، وهذا لأنه بعد مكاني، أما بعدنا الرابع — الزمن — فلا يتيح لنا الهرب من السجن ثلاثي الأبعاد، مع أنه بُعد حقيقي، لكنه يسمح لنا بالخروج من السجن، لأننا إذا انتظرنا بصبر مرور الزمن، فستنتهي مدة

عقوبتنا، وننال حريتنا، غير أن هذا لا يعد هربًا، فإذا أردنا الهرب، فعلينا أن نسافر عبر الزمن إلى لحظة تكون أبواب السجن عندها مفتوحة على مصراعيها، أو مهدمة، أو لم تبن بعد، وعندئذ — بعد أن نخطو خارج الأبواب — علينا أن نعود أدراجنا عبر الزمن إلى الحاضر، لكننا لا نستطيع — ولا يستطيع سكان الأرض المسطحة — السفر بهذه الطريقة عبر الزمن.

تمر السنوات حافلة بالأحداث، ولا تزال هذه الرواية التي شارفت على السبعين عامًا لم يدركها الهرم بعد، بل ما زالت حية كما كانت دائمًا، تحفة خالدة لا ينضب سحرها تبدو كأنما كتبت لعالم اليوم، إنها — مثل كل فن رفيع — تتحدى الزمن الطاغية.

مقدمة المحرر للطبعة الثانية المنقحة ١٨٨٤

لو أن صديقي المسكين من فلاتلاند (الكون ثنائي الأبعاد: الأرض المسطحة) احتفظ بالطاقة الذهنية التي كان يتمتع بها عندما بدأ كتابة هذه المذكرات لما كنت الآن بحاجة لأن أتحدث بلسانه في هذه المقدمة التي يود من خلالها: أولًا أن يشكر قرَّاءه وناقديه في سبيسلاند (الكون ثلاثي الأبعاد) الذين كان تقديرهم سببًا لإصدار طبعة ثانية من هذا العمل بسرعة لم تكن متوقعة، وثانيًا أن يعتذر عن بعض الأغلاط والأخطاء المطبعية (التي لا يعد مع ذلك مسئولًا عنها بالكامل)، وثالثًا أن يفسر بضعة اعتقادات خاطئة. لكنه لم يعد كسابق عهده، فقد اجتمعت عليه أعوام السجن ووهن الشيخوخة وأعباء السخرية والتكذيب اللذين غالبًا ما يلقاهما؛ فمحت من ذهنه كثيرًا من الأفكار والمفاهيم بالإضافة إلى كثير من المصطلحات التي اكتسبها في زيارته القصيرة لسبيسلاند، ولذلك فقد أنابني عنه في الرد على اعتراضين بعينهما، أحدهما ذو طبيعة فكرية والآخر ذو طبيعة أخلاقية.

الاعتراض الأول هو أن سكان الأرض المسطحة عندما ينظرون إلى خط فإنهم يرون شيئًا لا بد أن يكون له سُمك بالإضافة إلى الطول (وإلا ما رأته أعينهم إذا لم يكن سميكًا بعض الشيء)، ومن ثم يجب عليه (يزعمون ذلك) أن يقر بأن أهل بلاده ليس لهم فقط طول وعرض وإنما أيضًا (مع أنها حقيقة شبه مؤكدة) سُمك أو ارتفاع. وهو اعتراض منطقي، وقد يراه سكان سبيسلاند اعتراضًا لا يدحض، حتى إنني أعترف بأنني لم أجد عليه ردًّا عندما سمعته أول مرة، ولكن رد صديقي يقدم إجابة شافية.

قال صديقي عندما ذكرت له هذا الاعتراض: «إنني أعترف بصدق الحقائق التي استند إليها ناقدك ولكنني أعترض على النتائج التي انتهى إليها، فحقيقة الأمر أننا نمتلك بالفعل في الأرض المسطحة بُعدًا ثالثًا لا نلاحظه يسمى **الارتفاع**، مثلما تمتلكون أنتم أيضا في سبيسلاند بعدًا رابعًا غير ملحوظ، ومع أن أحدًا لم يطلق عليه اسمًا محددًا

حتى الآن فسوف أدعوه **الارتفاع الفائق**، لكننا لا نستطيع أن ندرك **ارتفاعنا** مثلما لا تستطيعون أنتم إدراك **ارتفاعكم الفائق**، حتى أنا الذي زرت سبيسلاند وعايشت معنى **الارتفاع** لمدة أربع وعشرين ساعة لا أستطيع الآن استيعابه أو إدراكه لا بحاسة الإبصار ولا بالقدرات العقلية، ولا أملك إلا الإيمان به إيمانًا غيبيًّا.»

«والسبب في ذلك واضح، فالأبعاد تشمل الاتجاهات والقياسات وغير ذلك، ولما كانت كل خطوطنا متساوية في الطول وذات سُمك (أو ارتفاع أيهما يروق لك) متناه في الصغر، فليس فيها ما يلفت عقولنا لهذا البعد. ولن يجدينا نفعًا استخدام الميكرومتر الحساس (جهاز للقياسات المجهرية) — كما اقترح أحد النقاد المتسرعين — إذ إننا لن نعرف ماذا نقيس ولا في أي اتجاه نقيس، إننا عندما نرى خطًّا فإننا نرى شيئًا ممتدًا ذا بريق، والبريق إلى جانب الامتداد ضروري لوجود الخط، فإذا خبا البريق انطفأ الخط، ولذلك فإنني عندما أتحدث إلى أصدقائي في الأرض المسطحة عن البعد غير الملحوظ يقولون: «آه لعلك تقصد البريق»، وعندما أقول إنني أعني بعدًا حقيقيًّا يسارعون بالرد: «إذن قسه، أو أخبرنا في أي اتجاه يمتد»، ويخرسني هذا الرد، إذ أعجز عن القيام بأي الخيارين. وبالأمس فقط، عندما جاء كبير الدوائر (أو الكاهن الأكبر) في زيارة تفتيشية لسجن الحكومة وزارني زيارته السنوية السابعة، وعندما سألني للمرة السابعة: «هل تراني أحسن حالًا؟» حاولت أن أثبت له أنه يتصف **بالارتفاع** إلى جانب الطول والعرض مع أنه لا يعرف بذلك، فماذا كان رده؟ قال: «أنت تقول إن لي **ارتفاعًا**، قس هذا **الارتفاع** وسوف أصدقك.» ماذا أستطيع أن أفعل؟ كيف أستطيع أن أواجه هذا التحدي؟ لقد هُزمت، وغادر هو الغرفة منتصرًا.»

«هل لا يزال حديثي يبدو لك غريبًا؟ إذن ضع نفسك في موقف مشابه، تخيل أن شخصًا من البعد الرابع قد تنازل وحضر لزيارتك، وقال: «كلما فتحت عينيك ترى مستوى (ثنائي الأبعاد) وتستشعر مجسمًا (ثلاثي الأبعاد)، ولكنك في الواقع ترى كذلك بعدًا رابعًا (وإن كنت لا تدركه)، وهو ليس لونًا ولا بريقًا ولا شيئًا من هذا القبيل، بل هو بعد حقيقي مع أنني لا أستطيع أن أوضح لك اتجاهه مثلما أنك لن تستطيع قياسه.» بماذا كنت ستجيب هذا الزائر؟ أما كنت ستودعه السجن؟ حسنًا، هذا هو ما آل إليه أمري، فمن الطبيعي في الأرض المسطحة أن تسجن المربعات للمناداة بالبعد الثالث كما أنه من الطبيعي في سبيسلاند أن تسجن المكعبات للمناداة بالبعد الرابع. وا أسفاه، كيف تنتقل الصفات الوراثية بقوة في الجنس البشري في جميع الأبعاد: النقط، والخطوط، والمربعات،

والمكعبات، والمكعبات الفائقة؛ كلنا معرضون للوقوع في الأخطاء ذاتها، وكلنا سواء في العبودية لتعصبنا لأبعادنا، كما قال أحد شعرائكم في سبيسلاند:

«لمسة واحدة من الطبيعة تجعل كل الأكوان أشباهًا.»[١]

يبدو لي رد المربع على هذه النقطة مفحمًا، وكم كنت أتمنى أن يكون رده على الاعتراض الثاني (الأخلاقي) واضحًا ودامغًا بالمثل، فقد أثيرت مزاعم أنه مبغض للنساء، وأيَّد هذه المزاعم أولئك اللاتي قضت الطبيعة أن يشكلن النصف الأكبر إلى حد ما من سكان سبيسلاند، وأود قدر استطاعتي أن أدحض هذا الزعم، لكن المربع لم يألف استخدام المصطلحات الأخلاقية لسبيسلاند، ولن أنصفه إذا نقلت حرفيًّا دفاعه عن هذه التهمة، ولذا سأتولى شرح وتلخيص ما قال، وأعتقد أنه في خلال سبع سنوات من السجن قد تغيرت آراؤه سواء فيما يتعلق بالنساء أو فيما يتعلق بالمثلثات متساوية الساقين (أو الطبقات الدنيا)، وهو الآن يميل إلى ما يراه الكرة من أن الخطوط المستقيمة تفوق الدوائر في عديد من الجوانب الهامة، لكنه كمؤرخ ارتبط (ربما أكثر من اللازم) بالآراء السائدة في الأرض المسطحة وفي سبيسلاند (كما قيل له)، وكان المؤرخون (حتى وقت قريب جدًّا) يرون في كتاباتهم أن أحوال النساء — وأحوال السواد الأعظم من البشر — نادرًا ما تستحق الذكر، ولا تستحق بالمرة بحثًا متعمقًا.

وفي فقرة أشد غموضًا يعرب الآن عن رغبته في أن يتبرأ من الميل لطبقة الكهنة والميول الأرستقراطية التي ألصقها به بطبيعة الحال بعض النقاد. يعترف الكاتب بالطاقة الذهنية التي حفظت لقلة من الكهنة — طيلة أجيال عديدة — سيطرتهم على أعداد هائلة من أهل بلادهم، ويقدر الكاتب هذه الطاقة الذهنية حق قدرها، لكنه يرى أن الوقائع في الأرض المسطحة تتحدث عن نفسها دون حاجة إلى تعقيب من جانبه، وتؤكد أن الثورات لا يمكن دائمًا إخمادها بالمذابح، وأن الطبيعة عندما حكمت على الكهنة بالعقم، حكمت عليهم بالفشل آخر الأمر، ويقول: «وأرى في هذا سيرًا على الناموس الأعظم لجميع الأكوان؛ ففي حين يرى الإنسان أن حكمته تسير به في طريق ما، ترغمه حكمة الطبيعة على أن

[١] يرغب الكاتب في أن أضيف أن الأفكار الخاطئة عند بعض نقاده حول هذه المسألة قد حملته على أن يضيف إلى حواره مع الكرة بعض الملحوظات المتعلقة بالموضوع الذي نناقشه، وهي ملحوظات سبق أن حذفها لأنه رأى أنها باعثة على الملل ولا ضرورة لها.

يسلك طريقًا آخر، يختلف تمامًا عن الأول لكنه أفضل كثيرًا.» وفي بقية حديثه يرجو الكاتب قراءه ألا يظنوا أن كل التفاصيل الدقيقة في الحياة اليومية في الأرض المسطحة لا بد أن يكون لها ما يناظرها من التفاصيل في سبيسلاند، ويأمل أن يكون عمله في مجمله ملهمًا ومسليًّا لأصحاب القدرات الذهنية المتوسطة والمتواضعة من أهل سبيسلاند، الذين يرفضون — عندما يتحدثون عما يقع خارج حدود خبراتهم من الأمور الهامة — أن يقولوا: «هذا أمر مستحيل» أو «لا بد أن الأمر على هذا النحو، ونحن محيطون به تمامًا.»

الجزء الأول

هذا العالم

«لا تعجل، فالكون لا تنقضي عجائبه.»

الفصل الأول

طبيعة الأرض المسطحة

إنني أطلق على عالمنا اسم الأرض المسطحة (فلاتلاند)، وليس السبب في ذلك أننا نسميه بهذا الاسم، وإنما أردت أن أُقرِّب طبيعة هذا العالم إلى أذهانكم أيها القراء الذين أسعدهم الحظ بالحياة في العالم ثلاثي الأبعاد.

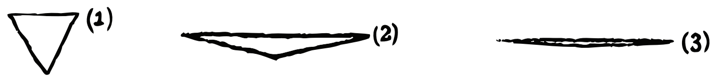
تخيلوا صحيفة شاسعة من الورق عليها خطوط مستقيمة ومثلثات ومربعات وأشكال خماسية وسداسية، وغير ذلك من الأشكال الهندسية التي تتحرك هنا وهناك بحرية تامة بدلًا من أن تظل ثابتة في مكانها، وهي تتحرك على السطح أو داخله دون أن تكون لها القدرة على أن ترتفع فوقه أو تهبط أسفل منه، شأنها في ذلك شأن الظلال، ولكنها تبدو ذات كتلة وتشع حوافها ضوءًا. تخيلوا ذلك وسوف ترتسم في أذهانكم صورة أقرب إلى الواقع تصف بلادي وسكانها، وا أسفاه كنت قبل أعوام قليلة أستطيع أن أقول «كَوْني»، ولكن عقلي الآن قد تفتح فأدركت ما لم أكن أدركه من قبل.

في بلد كذلك ستدركون على الفور استحالة أن تجدوا شيئًا يجوز وصفه بأنه «مجسم». لعلكم تحسبون أننا نستطيع على الأقل أن نميز بالنظر بين المثلثات والمربعات وباقي الأشكال التي تتحرك هنا وهناك كما ذكرت لكم، ولكن الواقع أننا لا نرى شيئًا من ذلك على الإطلاق، لا نرى ما يكفي على الأقل لتمييز أحد الأشكال عن الآخر، إننا لا نبصر — وليس بمقدورنا أن نبصر — شيئًا عدا الخطوط المستقيمة، وسوف أوضح لكم بعد قليل سبب ذلك.

ضع عملة معدنية على سطح منضدة من مناضد عالمكم ثلاثي الأبعاد ثم انظر إليها من أعلى، ستبدو لك دائرية الشكل.

والآن تراجع إلى حافة المنضدة واهبط بعينيك شيئًا فشيئًا (حتى تضع نفسك تدريجيًّا في وضع سكان الأرض المسطحة) وستجد أن العملة تتخذ شكلًا بيضاويًّا، وفي

النهاية عندما تصبح عيناك في مستوى المنضدة تمامًا (كما لو كنت — إذا جاز التعبير — من سكان الأرض المسطحة) سيختفي الشكل البيضاوي بالكامل ولن ترى إلا خطًّا مستقيمًا.



وسيتكرر الأمر في حالة المثلثات والمربعات وغيرها من الأشكال الهندسية المصنوعة من الورق المقوى، فما إن تنظر إليها وعيناك في مستوى المنضدة فلن تبدو لك أشكالًا هندسية وإنما ستراها خطوطًا مستقيمة. تخيل على سبيل المثال مثلثًا متساوي الأضلاع — وهو عندنا تاجر من طبقة رفيعة الشأن، يوضح الشكل الأول (١) صورة التاجر كما ستراها عندما تنظر إليه من أعلى، ويوضح الشكلان الثاني والثالث صورته كما ستراها عندما تدنو بعينيك من مستوى المنضدة أو تصبح في مستواها تقريبًا، أمَّا إذا صارت عيناك في مستوى المنضدة تمامًا فلن تراه إلا خطًّا مستقيمًا، وهكذا نراه في الأرض المسطحة.

عندما كنت في زيارة إلى سبيسلاند (العالم ثلاثي الأبعاد) سمعت أن البحارة هناك يمرون بتجربة مماثلة عندما يكونون في عرض البحر ويلوح لهم في الأفق شاطئ أو جزيرة، قد يكون في تلك الأرض النائية خلجان وألسنة من اليابسة تمتد في البحر وأعداد لا حصر لها من شباك الصيد تهبط إلى مياه البحر أو تخرج منها، ولكن الناظر من مسافة بعيدة لن يرى من كل ذلك شيئًا (إلا إذا كانت شمس أرضكم ساطعة فيكشف الضوء والظل معالم تلك المرئيات)، كل ما سيتراءى لعيني الناظر هو خط رمادي متصل فوق سطح البحر.

هذا هو ما يبدو لنا تمامًا عندما يقبل علينا واحد من أصدقائنا مثلثي الشكل أو غيرهم في الأرض المسطحة، فليس لدينا شمس أو أي مصدر مماثل للضوء يحدث ظلالًا، ولذا لا تتوافر لنا أي من الوسائل المساعدة على الإبصار المتاحة لكم في سبيسلاند، وإذا دنا منا صديقنا صار خطه أكبر، وإذا نأى عنا صار أصغر، ولكننا نراه خطًّا سواء كان مثلثًا أو مربعًا أو مخمسًا أو مسدسًا أو دائرة أو ما شئت من الأشكال الهندسية، لن يظهر إلا خطًّا مستقيمًا.

ربما تتساءلون كيف يتسنى لنا في ظل هذه الظروف أن نميز أصدقاءنا بعضهم من بعض، والإجابة عن هذا السؤال البديهي ستأتي بسهولة في الوقت المناسب عندما أصف لكم سكان الأرض المسطحة، ولكن دعوني أُرجئ الحديث عن هذا الأمر في الوقت الحالي، وأحدثكم حديثًا موجزًا عن المناخ والمنازل في بلادنا.

الفصل الثاني

المناخ والمنازل في الأرض المسطحة

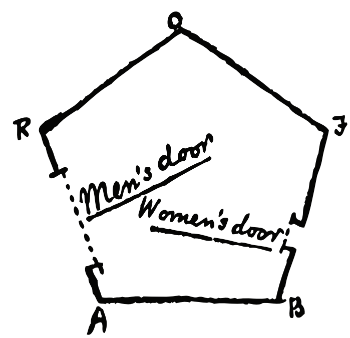
إن للبوصلة عندنا مثلما لها عندكم أربعة اتجاهات: الشمال والجنوب والشرق والغرب.

لكننا لا نستطيع أن نحدد اتجاه الشمال بالأسلوب المعتاد، إذ ليس لدينا شموس أو غيرها من الأجرام السماوية، ولنا في ذلك طريقة خاصة، فإن من ثوابت الطبيعة عندنا أن هناك قوة تجذب الأجسام دائمًا نحو الجنوب، وتكون هذه الجاذبية واهية جدًّا في الأحوال الجوية المعتدلة حتى إن امرأة ذات قوة جسمانية عادية تستطيع أن تقطع رحلة طولها عدة أميال باتجاه الشمال دونما عنت، ومع ذلك فإن المقاومة الناشئة عن قوة الجذب نحو الجنوب تصلح تمامًا لاستخدامها كبوصلة لتحديد الاتجاهات في معظم أنحاء أرضنا. ومن ناحية أخرى تُعد الأمطار عاملًا مساعدًا في تحديد الاتجاهات لأنها تسقط على فترات محددة وتأتي دائمًا من الشمال، وداخل المدن تساعدنا البيوت على تحديد الاتجاهات إذ إن جدرانها الجانبية تواجه في أغلب الأحوال اتجاهي الشمال والجنوب حتى تصد أسقفها الأمطار الآتية من الشمال، أما في الريف — حيث لا توجد أبنية — فإن جذوع الأشجار تساعدنا نوعًا ما في تحديد الاتجاهات. وأقول إجمالًا إننا لا نواجه صعوبة كبيرة — كما يحسب البعض — في تحديد اتجاهاتنا.

على أننا في المناطق التي يميل طقسها إلى الاعتدال لا نكاد نستشعر أثر الجاذبية نحو الجنوب، وعندما كنت أسير أحيانًا في السهول المقفرة — حيث لا توجد أشجار أو بيوت أهتدي بها إلى الاتجاه — كنت أضطر من آن لآخر ألا أبرح مكاني لساعات متصلة منتظرًا سقوط المطر حتى يتسنى لي أن أواصل رحلتي. تؤثر الجاذبية بقوة على الضعفاء والمسنين — ولاسيما على ضعاف النساء — أكثر مما تؤثر على الذكور الأقوياء، ولذلك فإن من دلائل الخلق الرفيع عندما تلقى امرأة في الطريق أن تفسح لها دائمًا

الجانب الشمالي من الطريق — وهو أمر لا يسهل عليك دائمًا القيام به في لمح البصر إذا كنت بصحة جيدة وفي مناخ يتعذر عليك فيه أن تميز الشمال من الجنوب.

ليس لمنازلنا نوافذ، فالضوء يسطع داخل بيوتنا وخارجها على السواء، ليلًا ونهارًا، في كل مكان، ولا ندري من أين يأتي، كانت تلك قديمًا مسألة مثيرة طالما بحثها علماؤنا: «ما هو مصدر الضوء؟»، وجرت محاولات عدة للإجابة عن هذا السؤال لم تثمر إلا عن امتلاء مصحاتنا العقلية بمن حسبوا أنهم قادرون على حل اللغز، وقد فرض المجلس التشريعي ضرائب باهظة على هذا النوع من الأبحاث في محاولة للحد منها بطريقة غير مباشرة، ثم قرر أخيرًا — بعد الفشل الذي منيت به هذه المحاولات — أن يفرض عليها حظرًا كاملًا. وللأسف فأنا الوحيد من سكان الأرض المسطحة الذي يعرف الآن الحل الصحيح لهذا اللغز الغامض، ولكنني لا أستطيع أن أنقل هذه المعرفة ولو لواحد من أبناء وطني، فهم يسخرون مني، أنا الذي أنفرد بامتلاك الحقائق عن العالم ثلاثي الأبعاد وعن نظرية وصول الضوء منه، يسخرون مني كما لو كنت أكثر المجانين خبالًا في هذا العالم. ولكن لندع جانبًا هذه الخواطر المؤلمة ولنعد للحديث عن منازلنا.



الشكل الشائع في بناء المنازل عندنا هو الشكل الخماسي كما هو موضح بالشكل، ويكوِّن الضلعان الواقعان جهة الشمال RO وOF سقف المنزل ولا يكون بهما في الغالب أبواب، وهناك باب صغير في الجانب الشرقي للنساء وباب أكثر اتساعًا في الناحية الغربية للرجال، أما الجانب الجنوبي — أو أرضية المنزل — فهو عادة بلا أبواب.

ولا يسمح ببناء منازل على شكل مربعات أو مثلثات، ذلك لأن زوايا المربعات والمثلثات ذات رؤوس حادة بالمقارنة بزوايا الشكل الخماسي، ولما كانت الحدود الخارجية

للجمادات (ومنها المنازل) أخفت بريقًا من الحدود الخارجية للرجال والنساء فهناك خطر لا يستهان به في أن تتسبب رؤوس المنازل المربعة والمثلثة في إصابات خطيرة لمسافر أرعن أو شارد الذهن إذا اصطدم بها فجأة، ولذلك فمنذ القرن الحادي عشر من تاريخنا كان بناء المنازل المثلثة محظورًا بحكم القانون في جميع أنحاء عالمنا، ولم يكن يُستثنى من ذلك غير الحصون ومخازن الذخيرة والثكنات العسكرية وغير ذلك من منشآت الدولة التي ينبغي ألا يقترب منها العامة دون احتراز.

وفي ذلك الزمن كان يسمح ببناء المنازل المربعة ولكن كانت تفرض عليها ضريبة خاصة لإثناء الناس عن بنائها، غير أن قانونًا صدر بعد ذلك بثلاثة قرون ينص على أن زاوية الشكل الخماسي هي أصغر زاوية في تصميم المنازل تتفق مع أمن وسلامة المواطنين في جميع المدن التي يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة. وقد ساند وعي المواطنين وحسن تقديرهم جهود المشرِّعين، والآن — حتى في المناطق الريفية — حلت المباني الخماسية محل الأشكال الأخرى من المباني، ويندر أن يعثر واحد من هواة الآثار القديمة على منزل مربع إلا من حين إلى آخر في المناطق الزراعية المتخلفة النائية.

الفصل الثالث

سكان الأرض المسطحة

يقدر طول وعرض الفرد البالغ في الأرض المسطحة بنحو إحدى عشرة بوصة بقياساتكم، ولا يتجاوز اثنتي عشرة بوصة.

والنساء في الأرض المسطحة خطوط مستقيمة.

أما الجنود والطبقة الدنيا من العمال فيكونون من المثلثات متساوية الساقين التي يبلغ طول أحد ضلعيها المتساويين نحو إحدى عشرة بوصة، ولا يتجاوز طول الضلع الثالث (قاعدة المثلث) في معظم الأحوال نصف بوصة، ولذا تتكون عند رؤوس هذه المثلثات زوايا حادة شديدة الخطورة. والواقع أننا لا نكاد نميز هذه المثلثات عن الخطوط المستقيمة (أو النساء) عندما لا تزيد أطوال قواعدها عن جزء من ثمانية أجزاء من البوصة وتكون رؤوسها مدببة، ونسمي هذه المثلثات — كما تسمونها عندكم — مثلثات متساوية الساقين، وسوف أطلق عليها هذا الاسم في الصفحات القادمة.

وتتكون الطبقة الوسطى عندنا من المثلثات متساوية الأضلاع.

أما أصحاب المهن والأغنياء فهم من المربعات (وهي الطبقة التي أنتمي إليها) والمخمسات.

وفوق هذه الطبقة تأتي طبقة النبلاء، وتشمل عدة درجات أدناها هي الأشكال السداسية ثم ترتفع المرتبة بازدياد عدد الأضلاع حتى نصل إلى لقب «عديد الأضلاع» وهي مرتبة رفيعة، وأخيرًا عندما يزداد عدد الأضلاع زيادة كبيرة ويقل طولها حتى يصبح من العسير تمييز المضلع عن الدائرة ينضم المضلع إلى جماعة الدوائر أو الكهنة وهي أرقى الطبقات على الإطلاق.

إن من قوانين الطبيعة عندنا أن يزيد المولود الذكر عن أبيه ضلعًا، ولذلك فإن كل جيل يرتقي (عادةً) في سلم التطور والنبالة درجة عن سابقه، وهكذا ينجب المربع مخمسًا والمخمس مسدسًا وما إلى ذلك.

غير أن هذه القاعدة لا تسري دائمًا على التجار، ونادرًا ما تسري على الجنود والعمال الذين لا يكادون يستحقون أن يُدعوا «أشكالًا» بشرية لأن أضلاعهم غير متساوية، ولذا لا ينطبق عليهم قانون الطبيعة؛ فيأتي نسل المثلث متساوي الساقين مثلثًا متساوي الساقين، ولكن ليس من المستحيل — حتى بالنسبة للمثلثات متساوية الساقين — أن ترتقي ذريتهم في النهاية على وضعهم المتدني، حيث إنه بعد سلسلة طويلة من النجاحات العسكرية المتتالية والمهارة والجدية في العمل نجد أن الأذكياء من طبقة الحرفيين والجنود تظهر عليهم زيادة طفيفة في طول الضلع الثالث (قاعدة المثلث) ونقص في طول الضلعين الآخرين. والزواج بين أبناء وبنات تلك الفئة الأرقى فكريًّا من بين الطبقات الدنيا ينظمه الكهنة، وغالبًا ما يثمر هذا الزواج ذرية أقرب إلى نموذج المثلث متساوي الأضلاع.

ويندر أن يأتي من بين الأعداد الهائلة من المواليد من المثلثات متساوية الساقين مثلث متساوي الأضلاع حقيقي مؤهل لأن يحمل شهادة رسمية بذلك.[١] ويتطلب الوصول إلى ذرية منتظمة الأضلاع سلسلة من الزيجات المرتبة بعناية بالإضافة إلى الاقتصاد في النفقات وضبط النفس لمدة طويلة من جانب من يرغبون في أن تكون ذريتهم منتظمة الأضلاع، هذا إلى جانب تطوير تدريجي منتظم لعقلية المثلثات متساوية الساقين عبر أجيال عديدة.

وولادة مثلث حقيقي متساوي الأضلاع من آباء متساويي السيقان هو حدث من الأحداث السعيدة في بلادنا التي يحتفل بها الناس في دائرة قطرها عدة أميال. وبعد

[١] «ما الداعي للشهادة؟» قد يتساءل أحد النقاد من سبيسلاند: «أليس إنجاب طفل مربع الشكل شهادة من الطبيعة نفسها تثبت أن الأب مثلث متساوي الأضلاع؟»، وأجيبهم بأن أي امرأة مهما تكن مكانتها الاجتماعية لا تقبل الزواج من مثلث لا يحمل شهادة رسمية، فقد تأتي في بعض الأحيان ذرية مربعة من مثلث ليس منتظمًا تمامًا، ولكن في كل هذه الحالات تقريبًا يعاود اختلاف أضلاع الجيل الأول الظهور في الجيل الثالث، الذي إما أن يعجز عن الارتقاء إلى مرتبة المخمس أو ينتكس إلى مرتبة المثلث مختلف الأضلاع.

فحص دقيق يجريه مجلس الشئون الصحية والاجتماعية يسمح للطفل — إذا كان حاصلًا على شهادة رسمية بأنه منتظم الأضلاع — بالانضمام في طقوس مهيبة إلى طبقة الأشكال منتظمة الأضلاع، ويأخذونه على الفور من أبويه اللذين تتنازعهما مشاعر الفخر به والحزن لفراقه، ويتبناه أحد المضلعات المنتظمة التي لم ترزق بذرية، ويتعهد بألا يسمح للطفل منذ ذلك الحين بزيارة بيته السابق أو حتى إلقاء نظرة على أقربائه مرة ثانية، خشية أن يرتد — بفعل المحاكاة غير الواعية — إلى مستواه الموروث وهو لم يزل بَعدُ حديث عهد بالتطور.

إن صعود أحد المضلعات المنتظمة من آن لآخر من بين أسلافه الرقيق حدثٌ يتلقاه المجتمع بالترحاب، ليس فقط مجتمع الرقيق الفقراء الذين يرون في هذا الحدث شعاعًا من النور والأمل يبدد بؤس حياتهم القاتل، وإنما أيضًا مجتمع الأرستقراطيين بصورة عامة، إذ أنهم يعون جيدًا أن تلك الفلتات النادرة تلعب دورًا كبيرًا في كبح ثورة الطبقات الدنيا، ولا تكاد تنتقص من امتيازاتهم الخاصة شيئًا في الوقت نفسه.

فهب أن الرعاع ذوي الزوايا الحادة كانوا جميعًا بلا أمل أو طموح على الإطلاق، أما كان من المحتمل أن يجدوا في بعض ثوراتهم زعماء لهم من البراعة ما يجعلهم يتغلبون بتفوقهم العددي وقوتهم حتى على حكمة الكهنة من الدوائر؟ ولكن قانون الطبيعة الحكيم قضى بأنه كلما ازداد ذكاء الطبقات العاملة وارتقت معرفتهم وأخلاقهم، مالت زواياهم الحادة (التي تعطيهم تفوقًا في القوة الجسدية) إلى الانفراج بنفس الدرجة حتى تدنو من زاوية المثلث منتظم الأضلاع التي تعد غير مؤذية نسبيًّا، ولذا نجد أن أشد الجنود مَنْعة وبأسًا — وهم أشبه ما يكونون بالنساء في افتقارهم إلى الذكاء — كلما زادت قدراتهم الذهنية التي يحتاجونها لاستغلال قدرتهم الهائلة على الاختراق، تضاءلت لديهم قدرة الاختراق ذاتها.

كم هو رائع قانون التوازن هذا، وهو برهان مثالي على التكيف مع الطبيعة، بل أظنه دليلًا على الأصل السماوي للدستور الأرستقراطي للدول في الأرض المسطحة. والاستغلال الحكيم لهذا القانون الطبيعي كثيرًا ما يمنح الدوائر والأشكال عديدة الأضلاع القدرة على قمع الفتنة في مهدها باللعب على أوتار الطموح البشري الجامح الذي لا يعرف حدودًا، فقد يصير العلم أيضًا أداة في يد السلطة، يستطيع أطباء الدولة — باستخدام عمليات الإطالة والتقصير — أن يجعلوا بعضًا من زعماء الثورات الذين يتفوقون على غيرهم في الذكاء متنظمي الأضلاع تمامًا، وهكذا يُسمح لهم على الفور بالانضمام إلى الطبقة

الأرستقراطية، ويغري ذلك عددًا كبيرًا ممن لم يرتقوا بعدُ إلى مستوى الذكاء المطلوب، ويراودهم حلم الانضمام إلى طبقة النبلاء، فيدفعهم إلى التوجه إلى مستشفيات الدولة حيث تُحدَّد إقامتهم مدى الحياة، ولا ينفذ حكم الإعدام إلا في واحد أو اثنين من المعاندين الحمقى الذين لا أمل في انتظام أضلاعهم.

ويبقى الرعاع البؤساء من المثلثات متساوية الساقين لا تنتظمهم خطة ولا يتقدمهم زعيم، فإما أن يكون مصيرهم السقوط دون مقاومة أمام فرقة من إخوانهم يحتفظ بها الكاهن الأكبر لمواجهة الأزمات المشابهة، أو ينتهي بهم الأمر إلى الانهيار الداخلي بفعل الأحقاد والشكوك التي تتفنن جماعة الكهنة في إثارتها بين صفوفهم، فيقتتلون فيما بينهم ويهلكون أنفسهم بأيديهم. يسجل تاريخنا ما لا يقل عن مائة وعشرين محاولة للتمرد إلى جانب الانتفاضات الصغرى التي يصل عددها إلى مائتين وخمسة وثلاثين، وقد آلت كلها إلى نفس المصير.

الفصل الرابع

المرأة في الأرض المسطحة

لو أن طبقة الجنود مثلثي الشكل كائنات منيعة، فمن البديهي أن تكون نساؤنا أشد منعة إلى حد بعيد، فلو كان الجندي عندنا يشبه الوتد، فالمرأة تشبه الإبرة، كلها — إذا جاز لنا القول — طرف مدبب، على الأقل عند طرفيها. أضف إلى ذلك قدرتها على أن تختفي عن الأنظار عندما ترغب في ذلك، وسوف تلمس أن الأنثى في الأرض المسطحة كائن لا يستهان به بحال من الأحوال.

هنا قد يتساءل بعض القراء من الشباب عن الكيفية التي تستطيع بها المرأة في الأرض المسطحة أن تختفي عن الأنظار، وأظنه أمرًا واضحًا لا يحتاج إلى بيان، ومع ذلك فإن بضع كلمات ربما تفسر الأمر لمن لا يُعمِلون عقولهم.

ضع إبرة على المنضدة، ثم انظر إليها من الجانبين على أن تكون عيناك في مستوى المنضدة، سترى عندئذ امتدادها بالكامل، ولكن إذا نظرت إليها من ناحية الطرفين فلن تراها إلا نقطة، وبذلك تختفي الإبرة تقريبًا عن الأنظار. هكذا يكون الأمر مع المرأة عندنا، فعندما ننظر إليها من الجانبين نراها خطًّا مستقيمًا، أما عندما نواجه الطرف الذي يضم الفم أو العين (والعضوان عندنا متطابقان) فلا نرى إلا نقطة شديدة التألق، وإذا واجهنا الطرف الخلفي للجسد لوجدنا أنه يعد بالنسبة لها نوعًا من طاقية الإخفاء؛ لأنه لا يشع ضوءًا كالطرف الأمامي بل يبدو خافتًا تقريبًا كالجمادات.

لعلني الآن قد بَيَّنت — حتى لأقل الأفراد ذكاء في سبيسلاند — المخاطر التي نتعرض لها من نسائنا، فلو كانت زاوية أي مثلث من الطبقة الوسطى لا تخلو من خطر، ولو أن الاصطدام بواحد من الطبقة العاملة يسبب جرحًا غائرًا، والاصطدام بواحد من ضباط الجيش يؤدي لا محالة إلى جروح خطيرة، ومجرد لمسة من الطرف المدبب لأحد الجنود تنطوي على خطر الموت، فماذا تكون عاقبة الاصطدام بالمرأة إلا الهلاك المحقق في الحال؟

وعندما تكون المرأة خفية عن الأنظار، أو نقطة خافتة الضوء، فكم سيكون عسيرًا — حتى على أكثرنا يقظة وحرصًا — أن يتجنب الاصطدام بها.

وكم من قوانين شرعت في أوقات مختلفة في جميع الدول في الأرض المسطحة بغرض الحد من هذا الخطر، وفي المناطق الجنوبية وفي الظروف المناخية الأقل اعتدالًا حيث تزداد قوة الجاذبية ويصبح الناس أكثر عُرضة للحركات العفوية واللاإرادية، تصبح القوانين المتعلقة بالمرأة أكثر صرامة بطبيعة الحال، ونستطيع أن نلقي نظرة عامة على القوانين من خلال الملخص الآتي:

(١) يكون لكل بيت باب شرقي تلتزم جميع النساء بالدخول منه «بطريقة لائقة تشي بالاحترام»، ولا يجوز لهن استخدام الباب الغربي المخصص للرجال.[١]

(٢) لا يجوز لامرأة أن تسير في الأماكن العامة دون إطلاق صيحة السلام باستمرار وإلا تعرضت لعقوبة الإعدام.

(٣) تُعدَم في الحال أي امرأة تثبت إصابتها بمرض الرَّقاص العصبي أو النوبات العصبية أو نزلات البرد المزمنة المصحوبة بعطس شديد، أو أي مرض آخر يؤدي إلى حركات لاإرادية.

وهناك في بعض الدول قانون إضافي يمنع المرأة من السير أو الوقوف في الأماكن العامة دون أن تحرك الطرف الخلفي بشكل مستمر من اليمين إلى اليسار لإظهار وجودها لمن خلفها، وغير ذلك من القوانين التي تجبر المرأة أثناء السفر على أن يتبعها أحد أبنائها أو خدمها من الذكور أو زوجها، أو تجبرها على التزام بيتها إلا أثناء الأعياد الدينية. ولكن كبار حكمائنا من الكهنة ورجال الدولة رأوا أن زيادة القيود المفروضة على المرأة لا تؤدي إلى إضعاف وتقليل السلالة فحسب، وإنما تؤدي أيضًا إلى زيادة كبيرة في جرائم القتل العائلي، حتى إن خسائر الدولة من وراء تلك القوانين المغالية في المحظورات تفوق مكاسبها.

فالمرأة كلما انتابتها مشاعر السخط من جراء حبسها بالمنزل، أو من القوانين التي تعوق حركتها خارج بيتها، زاد ميلها إلى التنفيس عن غضبها المكبوت في زوجها

[١] عندما كنت في سبيسلاند علمت أن بعضًا من رجال الدين عندكم يجعلون بابًا منفصلًا للفلاحين والقرويين والمعلمين في المدارس الداخلية يُسمح لهم باستخدامه «بطريقة لائقة تشي بالاحترام.»

وأبنائها، وقد حدث في بعض المناطق — التي لا تتسم باعتدال المناخ — أن أبيدت جماعة الذكور بكاملها في إحدى القرى في ساعة أو ساعتين أثناء ثورة متزامنة للنساء، ومن ثم فالقوانين الثلاثة سالفة الذكر تفي بالغرض في الدول الأفضل من الناحية التنظيمية، وتُعَد بالإضافة إلى ذلك نموذجًا تقريبيًّا للقوانين الخاصة بالمرأة في عالمنا.

ونجد في النهاية أن القوانين التي تسنها المجالس التشريعية ليست هي ما يحمينا من النساء، بل مصالح النساء أنفسهن، لأنه على الرغم من استطاعتهن القتل الفوري بواسطة الحركة إلى الخلف، فقد تتهشم أجسادهن الضعيفة إن لم يستطعن تحرير أطرافهن القاتلة من أجساد الضحايا في الحال.

وتقف مسايرة العادات السائدة أيضًا إلى جانبنا، فقد أشرت إلى أنه في بعض الدول الأقل تحضرًا لا يسمح للمرأة بالوقوف في الأماكن العامة دون أن تحرك الطرف الخلفي من الجسد من اليمين إلى اليسار. وكانت هذه منذ بداية تاريخنا من العادات الشائعة بين النساء اللاتي يزعمن الأصل الطيب في جميع الدول التي تتمتع بنظام حكم جيد، ويعد خزيًا لأي دولة أن تضطر لأن تفرض بقوة القانون ما ينبغي أن يكون غريزة فطرية في كل أنثى جديرة بالاحترام. الحركة الموجية الإيقاعية — إذا جاز التعبير — للطرف الخلفي من الجسد في سيدات طبقة الدوائر عندنا أمر تحسدهن عليه وتقلده زوجات المثلثات متساوية الأضلاع اللاتي لا يستطعن إلا القيام بأرجحة رتيبة كحركة البندول، وبالمثل تثير حركة نساء المثلثات متساوية الأضلاع بدورها إعجاب زوجات المثلثات متساوية الساقين اللاتي تطمحن إلى الرقي فيقلدنها، مع أن الحركة الخلفية في نساء هذه الطبقة لم تصبح حتى الآن ضرورة من ضرورات الحياة، ومن ثم ففي كل الأسر التي تحظى بالمكانة والشأن تنتشر «الحركة الخلفية» انتشارًا كبيرًا، ويتمتع الأزواج والذكور من الأبناء في هذه العائلات بالحماية، على الأقل ضد الهجمات الخفية.

ولا يظنَّن أحدكم أن نساءنا بلا عاطفة على الإطلاق، ولكنهن مع الأسف يخضعن للانفعالات اللحظية ويضعنها فوق كل اعتبار، وهذه بطبيعة الحال ضرورة تنبع من تكوينهن البائس، فليست لهن أي زوايا على الإطلاق، وهن في هذا الصدد أقل شأنًا من أدنى المثلثات متساوية الساقين منزلة، وهن لذلك محرومات تمامًا من نعمة الذكاء، ولا يملكن الفكر ولا رجاحة العقل ولا البصيرة، ولا يملكن إلا النزر اليسير من قوة الذاكرة، ولذلك فغضبتهن لا تعرف حدودًا، وقد عَرَفتُ حالة أبادت فيها امرأة أهل بيتها جميعًا، وبعد نصف ساعة، بعد أن هدأت سورة الغضب وبعد أن أزيلت الأشلاء، كانت تتساءل عما أصاب زوجها وأبناءها!

من الواضح إذن أنه ينبغي أن نتجنب إثارة غضب المرأة ما دامت في موضع يتيح لها أن تستدير، وتُصمَّم غرف النساء بحيث لا تمكنهن من الاستدارة، وعندما تكون المرأة داخل غرفتها تستطيع أن توجه إليها ما شئت من قول أوفعل، فهي حينئذ تكون واهنة تمامًا تجاه ما يثير غضبها، ولن تتذكر بعد بضع دقائق ما دفعها في تلك اللحظة إلى تهديدك بالموت، ولن تتذكر الوعود التي ربما تكون قد اضطررت لأن تقطعها على نفسك من أجل تهدئة غضبها.

وأقول إننا بوجه عام نتمتع بعلاقات عائلية هادئة، فيما عدا الفئات الدنيا من الطبقات العسكرية، ففيها يتسبب الافتقار إلى اللياقة والحكمة لدى الأزواج أحيانًا في كوارث تفوق الوصف، ولأنهم يعتمدون كثيرًا على أسلحتهم الهجومية المتمثلة في زواياهم الحادة بدلًا من قدراتهم الدفاعية المتمثلة في حسن التقدير والقدرة على التصنع عندما يستدعي الأمر، فكثيرًا ما يدفعهم طيشهم إلى تجاهل مواصفات البناء التي يحددها القانون في غرف النساء، أو إلى إثارة غضبهن في المناطق المكشوفة بعبارات لا تنم عن حسن التقدير ويرفضون أن يسارعوا إلى التراجع عنها، وفضلًا عن ذلك تمنعهم الفظاظة وتبلد المشاعر من قطع تلك الوعود السخية التي يستطيع بها الحكماء من الدوائر تهدئة غضب زوجاتهم في لحظات. والنتيجة مذبحة، ولا تخلو مع ذلك من نفع، لأنها تخلصنا من المثلثات متساوية الساقين الأكثر همجية وإزعاجًا، وينظر كثير من الدوائر عندنا إلى القدرة التدميرية للنساء على أنها واحدة من التدابير الإلهية للحد من الزيادة السكانية والقضاء على الثورة في المهد.

ومع ذلك لا أستطيع القول إن مفهوم الحياة العائلية يحظى عند أفضل عائلاتنا من الأشكال منتظمة الأضلاع التي تقترب من الدوائر بنفس المكانة العالية التي يحظى بها عندكم في سبيسلاند، وهناك سلام — إذا استطعنا أن نسمي انعدام المذابح سلامًا — ولكنّ هناك حتمًا اختلافًا في الأذواق والميول، وقد قضت حكمة الكهنة الرصينة بضمان الأمن على حساب راحة الأسرة. في كل بيت من بيوت الدوائر أو الأشكال عديدة الأضلاع هناك عادة لا نعرف متى بدأت — وأصبحت الآن غريزة في نساء الطبقات العليا لدينا — وهي أنه ينبغي على الأمهات والبنات أن يواجهن أزواجهن وأصدقاء أزواجهن بالطرف الأمامي الذي يضم العين والفم، وعندما تدير سيدة من سيدات العائلات الراقية ظهرها لزوجها يعد ذلك نذيرًا من نذر الشر، وقد يفقدها مكانتها، ولكن — كما سأوضح لكم بعد قليل — مع أن هذه العادة تعطي ميزة الأمان، فإنها لا تخلو من مساوئ.

في بيوت الرجال من طبقة العمال أو التجار المحترمين — حيث يسمح للمرأة أن تدير ظهرها لزوجها أثناء قيامها بأعمالها المنزلية — تكون هناك على الأقل فترات من الهدوء، لا يرى الرجل فيها زوجته ولا يسمع لها صوتًا، باستثناء الطنين المميز لصيحة السلام الدائمة، ولكن بيوت الطبقات الراقية كثيرًا ما تفتقر إلى السكينة، فرب الأسرة يواجه على الدوام فمها الثرثار وعينها الثاقبة شديدة البريق، ولا يزعجه الضوء بقدر ما يزعجه حديثها الذي لا يتوقف. وتكفي اللباقة والمهارة لتجنب لدغة المرأة ولكنهما لا تكفيان لصدها عن الكلام، ولما كانت الزوجة لا تجد ما يقال، ولا تجد وازعًا من الفطنة أو العقل أو الضمير يردها عن الكلام، فإن عددًا ليس بالقليل يؤكدون أنهم يفضلون التعرض لخطر الوخزة القاتلة من طرفها الصامت عن التعرض لصخب طرفها الآخر مع ما يوفره من الأمان.

قد يبدو وضع النساء عندنا مزريًا يثير الشفقة، وهو كذلك بالفعل، فإن الذكر من المثلثات متساوية الساقين قد يتوقع بعض التطور في زاويته، ثم الارتقاء آخر الأمر بطبقته المتدنية بأسرها، في حين لا تستطيع المرأة أن تتطلع إلى تحقيق هذه الآمال، فما دامت قد ولدت امرأة فستبقى كذلك طيلة حياتها، هذا ما قضت به الطبيعة، ويبدو أن قوانين التطور تتوقف عن العمل في حالتها، ولا نملك مع ذلك إلا أن نبدي إعجابنا بحكمة الأقدار التي قضت بأنه ما دامت المرأة بلا أمل فستكون أيضًا بلا ذاكرة تستعيد بها — ولا بصيرة تتوقع بها — المآسي والإهانات التي تعد ضرورة من ضرورات حياتها وواحدة من أساسات تكوين الأرض المسطحة في الوقت نفسه.

الفصل الخامس

الوسائل التي يتعرف بها أحدنا الآخر

أنتم الذين تتمتعون بنعمتي النور والظلال، أنتم الذين وُهبتم عينين، وأسعدكم الحظ بالتمتع بشتى الألوان، أنتم الذين تستطيعون حقًّا رؤية الزاوية، وتأمُّل المحيط الكامل للدائرة في عالمكم السعيد ذي الأبعاد الثلاثة، كيف أوضح لكم الصعوبة البالغة التي يواجهها أحدنا في الأرض المسطحة في التعرف على هيئة الآخر؟

هل تتذكرون ما أخبرتكم به من قبل؟ إن جميع الكائنات الحية والجمادات في الأرض المسطحة مهما اختلفت أشكالها تظهر لنا في صورة واحدة — أو هي تقريبًا واحدة — ألا وهي صورة الخط المستقيم، كيف نستطيع إذن التمييز بينها إذا كانت كلها تتخذ نفس الصورة؟

وتشمل إجابة هذا السؤال ثلاثة عناصر، فأول وسائل الإدراك هي حاسة السمع وهي أقوى عندنا كثيرًا مما هي عندكم، ونستطيع بها أن نميز أصوات أصدقائنا المقربين، ليس ذلك فحسب، بل إننا نستطيع أيضًا أن نميز بين الطبقات المختلفة — على الأقل الطبقات الثلاث الدنيا: المثلثات متساوية الأضلاع والمربعات والمخمسات — وأما المثلثات متساوية الساقين فأنا أسقطها من حساباتي، ولكن كلما صعدنا في درجات السلم الاجتماعي تزداد صعوبة استعمال حاسة السمع في التمييز، ويرجع ذلك لسببين: أولهما تشابه الأصوات، وثانيهما أن القدرة على تمييز الأصوات صفة من صفات العامة لا تتمتع بها الطبقة الراقية، بالإضافة إلى أنها وسيلة لا نستطيع أن نَرْكَن إليها إذا كان احتمال انتحال الشخصية قائمًا، فأعضاء الكلام تتطور بين أفراد الطبقات الاجتماعية الدنيا تطورًا يزيد على مثيله في أعضاء السمع، حتى إن المثلث متساوي الساقين يستطيع بكل سهولة أن يقلد صوت الأشكال عديدة الأضلاع، ويستطيع — بشيء من المران — أن يقلد صوت الكهنة أنفسهم، ولذلك نلجأ عادةً إلى وسيلة أخرى.

يعد استخدام حاسة اللمس — بين النساء والطبقات الدنيا — الاختبار الأساسي للتعرف على الأشخاص بصورة عامة، وخصوصًا عندما يتعلق الأمر بالتعرف على الطبقة التي ينتمي إليها الشخص لا هوية الشخص نفسه، وسوف أحدثكم بعد قليل عن الطبقات الراقية، وهكذا فإن «اللمس» عندنا يقوم مقام «التعارف» بين الطبقات العليا عندكم، «ائذن لي أن أسألك أن تتلمس صديقي السيد فلان وأن يتلمسك» لم تزل هذه العبارة القديمة هي المقدمة المعتادة التي يستخدمها الرجال من طبقة النبلاء في بلادنا في المناطق البعيدة عن المدن، على أنه في المدن وبين رجال الأعمال تحذف كلمات «وأن يلمسك» وتختصر الجملة إلى «ائذن لي أن أسألك أن تلمس صديقي السيد فلان»، ومن المفهوم بالطبع أن «اللمس» يفترض أن يكون متبادلًا.

ومع هذا فلا يظنَّن القارئ أن عملية «اللمس» عندنا هي نفس العملية المرهقة التي كنتم ستعرفونها عندكم، أو أننا نحتاج إلى تحسس جميع أضلاع أي شخص من الأشخاص لنعرف إلى أي طبقة ينتمي، فقد علمتنا الخبرة والممارسة الطويلة — التي نبدؤها في المدارس ونواصلها في حياتنا اليومية — أن نميز على الفور باستخدام حاسة اللمس بين زوايا المثلث متساوي الأضلاع والمربع والمخمس، ولست بحاجة إلى أن أشير إلى أن الزوايا الحادة للمثلثات متساوية الساقين يسهل تمييزها حتى بلمسة بسيطة، وهكذا لا يحتاج الأمر عادة للمس ما يزيد عن زاوية واحدة من الشخص، وعندما نتحقق من هذه الزاوية نعرف الطبقة التي ينتمي إليها الشخص الذي نخاطبه، إلا إذا كان ينتمي إلى الشرائح العليا من طبقة النبلاء، فهنا يكون الأمر غاية في الصعوبة، حتى إن أستاذًا في الآداب في جامعة وينتبريدج عندنا كان كثيرًا ما يخلط بين المضلعات ذات العشرة الأضلاع والمضلعات ذات الاثني عشر ضلعًا، ونادرًا ما تجد أستاذًا في العلوم داخل أو خارج هذه الجامعة المشهورة يزعم أنه يستطيع أن يميز على الفور ودون تردد بين المضلعات ذات العشرين ضلعًا والمضلعات ذات الأربعة والعشرين ضلعًا التي تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية.

إن من يتذكر من القراء المقتطفات التي أوردتها آنفًا من القانون الخاص بالنساء سوف يدرك بسهولة أن مسألة التعريف بالأشخاص عن طريق اللمس مسألة تحتاج إلى شيء من الحرص والحذر، وإلا تسببت الزوايا في إلحاق إصابات يتعذر علاجها بمن يغفل عن هذا الخطر، ويجب — من أجل سلامة اللامس — أن يقف الملموس دون حراك، فإذا أجفل أو تململ في موضعه أو حتى عطس عطسة شديدة، فربما يتسبب عدم

توخي الحذر في تعرضه للهلاك، وقد يؤدي ذلك إلى القضاء على الكثير من الصداقات الواعدة في المهد، ولاسيما بين الطبقات الدنيا من المثلثات، فإن عيونهم تقع بعيدًا جدًّا عن رؤوس مثلثاتهم حتى إنهم لا يكادون يلاحظون ما يجري في هذا الطرف القصي من أجسادهم، أضف إلى ذلك أن لهم طبيعة فظة خشنة لا تتمتع بالحساسية للمسة الرقيقة للمضلعات المنتظمة عديدة الأضلاع، فليس بمستغرب إذن أن تتسبب هزة رأس غير مقصودة في حرمان الدولة من إحدى الشخصيات المهمة!

كان جدي شخصًا رائعًا، وكان مع انتمائه لطبقة المثلثات متساوية الساقين البائسة واحدًا من أقل أفرادها اختلافًا في الأضلاع، وقد نال بالفعل قبل موته بمدة قصيرة أربعة من بين سبعة أصوات في مجلس الشئون الصحية والاجتماعية لضمه لطبقة المثلثات متساوية الأضلاع، سمعتُ أنه كان يذكر بأسى، والدموع في عينيه، حادثةً من هذا النوع حدثت لجده الرابع الذي كان رجلًا وقورًا من طبقة العمال له زاوية (أو عقلية) قياسها تسع وخمسون درجة وثلاثون جزءًا من الدرجة، ووفقًا لما رواه جدي فإن هذا الرجل — الذي كان لسوء الحظ من أسلافي — كان مصابًا بالتهاب المفاصل، وذات مرة كان أحد الأشكال عديدة الأضلاع يلمسه، وتحرك جدي حركة مفاجئة فطعن الرجل العظيم دون قصد طعنة نافذة، وبذلك تراجعت عائلتنا درجة ونصف الدرجة في طريقها نحو التطور، بسبب الحبس والمهانة التي لحقت بها لمدة طويلة من ناحية، وبسبب الإحباط المعنوي الذي أصاب كل أقارب جدي من ناحية أخرى، وكانت عاقبة ذلك أنه في الجيل التالي سجل عقل عائلتنا ٥٨ درجة فقط، ولم تستعد العائلة مكانتها المفقودة إلا بعد مرور خمسة أجيال، فأصبحت زاويتها ٦٠ درجة كاملة، وتم لها التطور من طبقة المثلثات متساوية الساقين، وكل تلك المصائب المتعاقبة من جراء حادثة واحدة صغيرة أثناء عملية اللمس.

أظن أنني أسمع الآن بعضًا من القراء الذين أصابوا حظًّا من التعليم يهتفون: «كيف يتأتَّى لكم في الأرض المسطحة أن تعرفوا أي شيء عن الزوايا أو الدرجات أو الأجزاء من الدرجات؟ إننا نرى الزوايا لأننا في العالم ثلاثي الأبعاد نستطيع أن نرى خطين مستقيمين يتقاطعان في نقطة واحدة، ولكنكم لا ترون في جميع الأحوال إلا خطًّا مستقيمًا واحدًا أو أجزاء من خطوط مستقيمة تقع على استقامة واحدة، فكيف تستطيعون تمييز الزاوية، فضلًا عن قياسها؟»

وأقول لهم إننا نستطيع أن نستنتج قياس الزوايا بدقة كبيرة مع أننا لا نستطيع أن نبصرها، فحاسة اللمس عندنا — التي شحذها اعتمادنا عليها وطوَّرها طول تمرُّسنا

بها — تمكننا من تمييز الزوايا بدقة تزيد كثيرًا عن دقة حاسة الإبصار عندكم، عندما لا تستعينون بالقوانين الرياضية أو أدوات قياس الزوايا، ولا أستطيع أن أغفل الإشارة إلى أننا نملك وسائل طبيعية تعيننا؛ فمن قوانين الطبيعة عندنا أن عقل المثلث متساوي الساقين يبدأ قياسه بنصف درجة (أو ثلاثين جزءًا من الدرجة)، ويزيد — إذا قدر له أن يزيد — بمقدار نصف درجة في كل جيل حتى يصل إلى تحقيق الغاية المنشودة وهي ٦٠ درجة، وعندها تنتهي حالة العبودية، وينضم المواطن الحر إلى طبقة الأشكال منتظمة الأضلاع.

وهكذا تمنحنا الطبيعة نفسها تدريجًا تصاعديًّا أو أبجدية من الزوايا ما بين نصف درجة وستين درجة، وتوضع عينات منها في جميع المدارس الابتدائية على أرضنا، وهناك دائمًا زيادة هائلة في أعداد المثلثات التي تبلغ زواياها نصف درجة وتلك التي تبلغ زواياها درجة واحدة، ويرجع ذلك إلى الانتكاس (التقهقر في السلم الاجتماعي) في بعض الأحيان، والتجمد الفكري والأخلاقي في كثير من الأحيان، بالإضافة إلى الخصوبة الفائقة في طبقات المجرمين والمشردين، وهناك أيضًا زيادة متوسطة في العينات التي تصل زاويتها إلى ١٠ درجات، وكل هؤلاء محرومون من الحقوق المدنية حرمانًا كاملًا، ولا يملك معظمهم من الذكاء ما يكفي حتى للاشتراك في الحروب، وتستخدمهم الدولة في الخدمات التعليمية، ويوضعون داخل الفصول الدراسية في مدارس الأطفال عندنا بعد تقييدهم بالأغلال درءًا لخطرهم، وتستغلهم المجالس التعليمية للمساعدة في تعليم أبناء الطبقة المتوسطة الذكاء واللياقة اللذين تفتقر إليهما هذه المخلوقات البائسة.

وفي بعض الدول يُطعِمون هذه العينات من آن لآخر ويسمحون لها بالبقاء أعوامًا عدة، ولكن في المناطق الأكثر اعتدالًا وتنظيمًا وُجد أنه من الأفضل — على المدى البعيد — لمصلحة تعليم الصغار الاستغناء عن الطعام وتجديد العينات كل شهر، وهو متوسط المدة التي تستطيع طبقة المجرمين أن تعيشها دون طعام، وما نوفره في المدارس منخفضة المصروفات بالإبقاء على العينات لمدد طويلة نفقد جزءًا منه بسبب الإنفاق على الطعام والجزء الآخر بسبب تناقص دقة الزوايا التي تفسد بعد أسابيع قليلة من التحسس الدائم، ولا ننسى أن من بين مميزات النظام الأعلى في التكلفة أنه يؤدي — على نحو طفيف ولكنه ملحوظ — إلى خفض التعداد الهائل للمثلثات متساوية الساقين، وهو هدف يضعه كل رجال الدولة في الأرض المسطحة نصب أعينهم على الدوام، ولذلك أجدني أميل بصفة عامة إلى الاعتقاد بأن هذه واحدة من الحالات الكثيرة التي يكون

فيها الإنفاق هو خير وسيلة للاقتصاد، ولا يغيب عني مع ذلك أن هناك تأييدًا للنظام الرخيص — كما يسمونه — في كثير من مجالس إدارات المدارس التي تنتخب بالتصويت العام.

يجب ألا نشتت أنفسنا بالحديث عن سياسات مجالس إدارات المدارس، وأظنني قد أوضحت بما يكفي أن التعارف عن طريق اللمس عملية يسيرة على عكس ما قد يحسبه البعض، وهي دون شك أجدر بالاعتماد عليها من حاسة السمع، ولكن يبقي — كما أشرت آنفًا — الاعتراض القائم على أن هذه الطريقة لا تخلو من مخاطر. هناك طريقة ثالثة يفضلها الكثيرون من أفراد الطبقات الدنيا والمتوسطة، ويستخدمها دون استثناء جميع أفراد طبقة الدوائر والأشكال عديدة الأضلاع، وأخصص لوصفها الفصل القادم.

الفصل السادس

تعرُّف الآخرين باستعمال البصر

أنا الآن على وشك أن أبدو في غاية التناقض، فقد ذكرت في الفصول السابقة أن جميع الأشكال في الأرض المسطحة تبدو لنا خطوطًا مستقيمة، ثم أضفت — تلميحًا أو تصريحًا — أنه من المستحيل أن نستعمل أعيننا للتمييز بين الأفراد من مختلف الطبقات الاجتماعية، ومع ذلك فأنا الآن على وشك أن أشرح للنقاد في سبيسلاند كيف يستطيع أحدنا أن يتعرف الآخر باستخدام حاسة الإبصار.

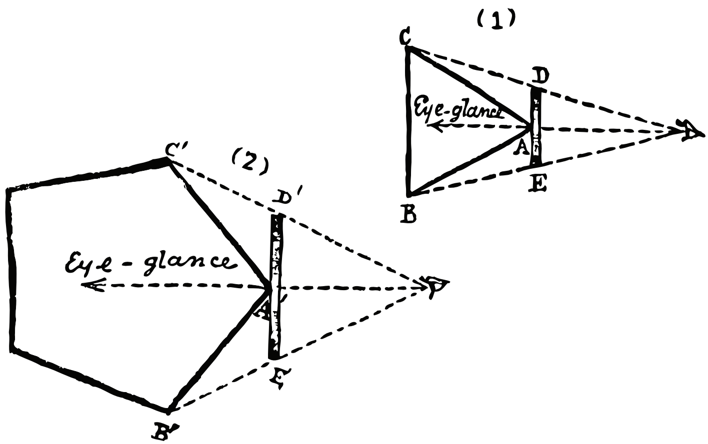
غير أن القارئ لو كلف نفسه عناء الرجوع إلى الفقرة التي ذكرت فيها أن التعرف عن طريق اللمس وسيلة عامة، فسيجد أن هناك تخصيصًا «بين الطبقات الدنيا»، ولا يستعمل التعرف عن طريق البصر إلا بين أفراد الطبقات الراقية وفي المناطق التي يتميز مناخها بالاعتدال.

ويعود تواجد هذه المقدرة في مناطق بعينها وبين فئات بعينها إلى الضباب الذي ينتشر معظم أوقات السنة في جميع المناطق عدا المناطق شديدة الحرارة، الضباب الذي تَعدُّونه في بلادكم شرًّا مستطيرًا يحجب جمال الطبيعة ويبذر في النفس بذور الاكتئاب ويؤدي إلى اعتلال الصحة، نراه عندنا نعمةً لا تكاد تقل في قيمتها عن نعمة الهواء نفسه، ومصدرًا للإلهام في الفنون والعلوم، ولكن دعوني أفسر ما أرمي إليه دون مزيد من الإطراء على هذا العنصر النافع.

لو كانت أرضنا بلا ضباب لظهرت كل الخطوط واضحةً، ولصار من العسير تمييز أحدها عن الآخر، وهذا في الواقع ما تعانيه تلك الدول التعيسة التي يتسم مناخها بالجفاف والصفاء التامَّين، ولكن أينما وجد الضباب الكثيف صارت الأجسام التي تبعد ثلاثة أقدام — على سبيل المثال — أكثر خفوتًا على نحو ملموس من الأجسام التي تبعد قدمين وإحدى عشرة بوصة، ولذلك فإننا نستطيع عن طريق المشاهدات والتجارب

الدقيقة على قياس نسبة الخفوت والوضوح أن نستنتج بدقة كبيرة هيئة الأجسام التي نشاهدها.

ولعل مثالًا واحدًا يكون أجدى في إيضاح المعنى المقصود من مجلد من العبارات العامة.



لنفترض أنني أرى شخصين يقتربان وأود أن أتحقق من الطبقة الاجتماعية لكل منهما، ولنفترض أنهما تاجر وطبيب — أي مثلث منتظم الأضلاع ومخمس، كيف أستطيع أن أميز بينهما؟

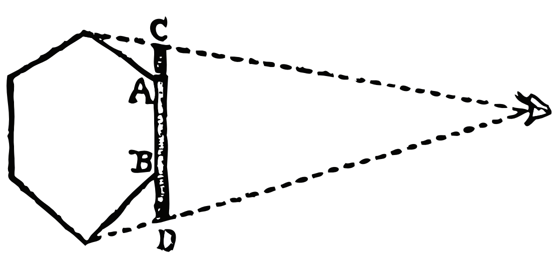
سيكون واضحًا لكل طفل في سبيسلاند درس مبادئ علم الهندسة أنني إذا وضعت عيني في موضع يجعل مسار النظر يقطع الزاوية (A) للشخص القادم في المنتصف تمامًا فسيقع نظري تقريبًا بين الضلعين المواجهين لي (أي CA وAB)، وبذلك أراهما متساويين في الطول.

والآن في حالة التاجر — الحالة رقم (١) — ما الذي سيظهر لي؟ سأرى خطًّا مستقيمًا DAE تتألق في منتصفه النقطة (A) بضوء ساطع لأنها أقرب إلي عيني، ولكن سرعان ما سيخبو الضوء على الجانبين حتى يتلاشى تمامًا، لأن الضلعين AC وAB يتراجعان سريعًا في الضباب، وسيبدو طرفا التاجر — أي النقطتان D وE — خافتين للغاية.

أما في الحالة الثانية وهي حالة الطبيب، فمع أنني سأرى هنا أيضًا خطًّا ($D'A'E'$) يتألق مركزه (A')، فإن تألقه لن يخبو بنفس السرعة لأن الضلعين ($A'C'$ و$A'B'$) لن يتراجعا في الضباب بنفس السرعة، وسيبدو طرفا الطبيب — أي النقطتان D' وE' — أكثر تألقًا من طرفي التاجر.

ولعل القارئ يدرك من هذين المثالين كيف تستطيع الطبقات المتعلمة عندنا — بعد مران طويل تدعمه الخبرة — أن تميز بدقة مقبولة بين الطبقات الدنيا والمتوسطة باستعمال حاسة الإبصار، ولو أن النقاد في سبيسلاند استوعبوا هذا المفهوم العام بما يكفي لأن يتصوروا إمكانية حدوثه ولئلا يرفضوا قصتي باعتبارها منافية للعقل، فسأكون قد حققت كل ما أتطلع إليه، ولو خضت في مزيد من التفاصيل لما زدت القارئ غير حيرة، ومع ذلك فقد يستشف بعض القراء من صغار السن أو غير ذوي الخبرة من المثالين السابقين على الطريقة التي أتعرف بها والدي وأبنائي أن استعمال البصر في تعرف الآخرين مسألة يسيرة، ولذا ربما يكون من الضروري أن ألفت انتباههم إلى أن معظم صعوبات التعرف عن طريق البصر في الحياة الواقعية أكثر دقة وتعقيدًا من ذلك إلى حد بعيد.

لو تصادف — على سبيل المثال — عندما يدنو مني والدي (المثلث) أن واجهني أحد أضلاعه بدلًا من زاويته فلن أتحقق مما إذا كان خطًّا مستقيمًا (أي امرأة) حتى أطلب منه أن يستدير أو حتى أدور بعيني حوله، وبالمثل عندما أكون بصحبة واحد من حفيديَّ مسدسي الشكل، إذا واجهت أحد أضلاعه (AB) فيبدو واضحًا من الشكل الآتي أنني سوف أرى خطًّا متصلًا متألقًا نسبيًا (AB) لا يعتريه الخفوت عند أطرافه، وخطين أصغر من ذلك الخط (CA وBD) خافتين بالكامل ويزدادان إعتاما نحو الطرفين C وD.



إلا أنني يجب ألا أطلق لنفسي العنان للاسترسال في الحديث عن هذه الموضوعات. يواجه ذوو التعليم العالي صعوباتٍ كبيرةً عندما يحاولون استخدام حاسة الإبصار للتمييز بين عدد من الأشكال عديدة الأضلاع التي تتحرك في اتجاهات مختلفة — كما في قاعات الرقص والمنتديات — إذا كانوا هم أنفسهم يتحركون أو يستديرون أو يتقدمون أو يتراجعون، وأؤكد لكم أنها صعوبات تستعصي على عقول أعتى المفكرين، وأنها تكفي لتبرير المواهب الغزيرة التي يتمتع بها أولو العلم من أساتذة الهندسة — الاستاتيكية والديناميكية على السواء — في جامعة وينتبريدج الشهيرة، حيث تنتظم دفعات كبيرة من صفوة البلاد في دراسة علم وفن التعرف عن طريق الإبصار، وأحسبه يسيرًا حتى على أدنى علماء الرياضيات منزلة في سبيسلاند أن يتبين صدق كلامي.

ولا يستطيع توفير الوقت والمال اللازمين لإتمام دراسة هذا الفن الرفيع الثمين إلا قلة من أبناء أوسع عائلاتنا ثراءً وأعلاها شأنًا، حتى إنني — وأنا عالم في الرياضيات أتمتع بمكانة ليست بالقليلة، وجدٌّ لاثنين من المسدسات الواعدة تامة الانتظام — يصيبني أحيانًا الارتباك الشديد عندما أجد نفسي وسط حشد من الأشكال عديدة الأضلاع من الطبقات العليا، أما بالنسبة لواحد من عامة التجار أو الرقيق فإن هذا المشهد يبدو مبهمًا عسيرًا على الفهم كما سيبدو لك عزيزي القارئ لو أنك انتقلت فجأة إلى بلادي.

وأينما وجهت بصرك فلن تستطيع أن ترى في ذلك الزحام شيئًا عدا خط يبدو مستقيمًا ولكن أجزاءه تتفاوت دائمًا في الخفوت والبريق، وحتى لو كنت قد أتممت عامك الثالث في صفوف المخمسات والمسدسات بالجامعة، وصرت في غاية التمكن من الجانب النظري للموضوع، فستجد أنك لا تزال في حاجة إلى أعوام طويلة من الخبرة العملية قبل أن تستطيع التحرك وسط حشد من الطبقة الأرستقراطية دون أن تصطدم بمن هم أرقى منك مكانة، الذين يعد لمسهم منافيًا لقواعد اللياقة، والذين يعرفون — نظرًا لتفوقهم الثقافي والطبقي — كل شيء عن تحركاتك، في حين لا تعرف أنت إلا أقل القليل — أو لا شيء على الإطلاق — عن تحركاتهم، وأقول بإيجاز إنه لكي يلتزم المرء تمام الالتزام بقواعد السلوك في مجتمع الأشكال عديدة الأضلاع ينبغي أن يكون هو نفسه واحدًا منهم، هذا على الأقل ما أفدته من تجاربي.

من المذهل إلى أي مدى يتطور فن — أم أسميه غريزة — التعرف البصري بالمداومة على ممارسته وتجنب استخدام عادة اللمس، كما هو الحال عندكم فيما يتعلق بالصم والبكم، فما إن يُسمح لهم باستخدام لغة الإشارة والإيماءات فلن يكتسبوا مطلقًا فن

قراءة حركات الشفاه، وهو أكثر صعوبة ولكنه أيضًا أكثر أهمية من لغة الإشارة، كذلك الأمر عندنا فيما يتعلق بالإبصار واللمس، فمن يلجأ في سني حياته الأولى إلى الاعتماد على اللمس فلن يتمكن قط من إتقان الإبصار.

ولذلك لا يشجعون استعمال «اللمس» بين أفراد الطبقات الراقية أو يحظرونه بالكامل، ويرسلون أطفالهم من المهد إلى مدارس خاصة تقتصر على أبناء النخبة بدلًا من إلحاقهم بالمدارس الابتدائية العامة، وفي جامعتنا الشهيرة يعد استخدام اللمس جريمة كبرى يُعاقب عليها في المرة الأولى بالطرد المؤقت من الجامعة وفي المرة الثانية بالفصل النهائي.

غير أن فن التعرف البصري يعد بين أفراد الطبقات الدنيا ترفًا بعيد المنال، فلا يتحمل واحد من عامة التجار أن يدع أبناءه يقضون ثلث حياتهم في دراسة علوم نظرية، ومن ثم يُسمح لأبناء الفقراء باستخدام اللمس منذ الطفولة، وبذلك يكتسبون نضجًا ونشاطًا مبكريْن، ويتفوقون في ذلك على أنصاف المتعلمين من شباب طبقة الأشكال عديدة الأضلاع الذين يتسم سلوكهم بالخمول والافتقار إلى النضج وفتور الهمة، ولكن عندما يُتِم أولئك الشباب في النهاية دراستهم الجامعية، ويصبحون على استعداد لوضع ما تعلموه نظريًّا موضع التطبيق، فإنهم يتغيرون تغيرًا نستطيع أن نصفه بأنه ولادة جديدة، ويستطيعون في جميع الفنون والعلوم والأنشطة الاجتماعية أن يفوقوا أقرانهم من المثلثات بشوط كبير.

ولا يرسب في الاختبار النهائي أو امتحانات التخرج في الجامعة إلا عدد قليل من طبقة الأشكال عديدة الأضلاع، والواقع أن حال تلك الأقلية الفاشلة يرثى له، ترفضهم الطبقات الراقية وتزدريهم الطبقات الدنيا، فليست لديهم الملكات التي أنضجها طول التمرس والتي يتمتع بها الحاصلون من الأشكال عديدة الأضلاع على شهادات إتمام الدراسة الجامعية وشهادات الماجستير، بالإضافة إلى أنهم لا يملكون النضج والمواهب المتعددة التي يتمتع بها الشباب من طبقة التجار، فتغلق في وجوههم أبواب العمل الحكومي والمهن التخصصية، ومع أن معظم الدول لا تمنعهم من الزواج، فإنهم يجدون صعوبة كبيرة في العثور على الزيجات المناسبة، إذ أثبتت التجربة أن ذرية هؤلاء البؤساء غير ذوي الموهبة تأتي عادة ذرية بائسة، إن لم يظهر عليها اختلاف في الأضلاع.

ومن بين هذه العينات التي لفظها مجتمع النبلاء أتى زعماء الثورات والفتن الكبرى في الماضي، وهم يسببون أذى بالغًا حتى إن عددًا متزايدًا من رجال الدولة من أنصار

الفكر الحديث يرون أن الرحمة الحقيقية تقتضي القضاء عليهم بالكامل، بسن قانون ينص على أن يعاقب كل من يرسب في امتحانات التخرج من الجامعة إما بالسجن مدى الحياة أو بالإعدام بالقتل الرحيم.

وأجدني أتطرق إلى الحديث عن مسألة اختلاف الأضلاع، وهو أمر من الأهمية بحيث يتطلب إفراد فصل خاص له.

الفصل السابع

الأشكال مختلفة الأضلاع

لقد افترضتُ طيلة الصفحات السابقة أن كل البشر في الأرض المسطحة مضلعات منتظمة، أي أن لهم بنية منتظمة، وهو أمر ربما كان يجب أن أوضحه منذ البداية كفرضية أساسية، وأعني بذلك أن المرأة لا تكون خطًّا فحسب، بل خطًّا مستقيمًا، وأنه يجب أن يكون للحرفي أو الجندي ضلعان متساويان، وللتاجر ثلاثة أضلاع متساوية، وللمحامين (وهي الطبقة التي أنتمي إليها) أربعة أضلاع متساوية، وبوجه عام تكون جميع الأشكال عديدة الأضلاع ذات أضلاع متساوية.

وتعتمد أطوال الأضلاع بطبيعة الحال على عمر الفرد، فالأنثى عند الولادة يبلغ طولها نحو بوصة، ويصل طول المرأة البالغة إلى قدم واحد، أما بالنسبة للذكور من جميع الطبقات فنستطيع أن نقرب الأمر فنقول إن مجموع أطوال أضلاع الذكر البالغ يصل إلى قدمين أو أكثر قليلًا، ولكننا لسنا الآن بصدد الحديث عن أطوال أضلاعنا وإنما عن تساوي الأضلاع، ولا يحتاج المرء أن يجهد عقله ليدرك أن الحياة الاجتماعية بكاملها في الأرض المسطحة تقوم على فرضية أساسية وهي أن الطبيعة أرادت لجميع المضلعات أن تكون ذات أضلاع متساوية.

لو أن أضلاعنا كانت غير منتظمة لكانت زوايانا غير متساوية، وبدلًا من أن يحتاج المرء إلى تلمُّس زاوية واحدة أو تقدير قياسها باستعمال النظر حتى يستطيع تحديد هيئة الآخر، فسيتحتم عليه أن يتحقق من كل زاوية على حدة باستخدام حاسة اللمس، لكن الحياة أقصر من أن نقضيها في هذا التخبط المضني، ثم إن علم وفن التعرف عن طريق الإبصار كان سيختفي على الفور، وما كان استخدام حاسة اللمس — باعتباره فنًّا — ليدوم لمدة طويلة، وستصبح العلاقات الاجتماعية محفوفة بالمخاطر إن لم تكن مستحيلة على الإطلاق، وسينتهي عهد الثقة والفطنة، ولن ينعم أحد بالأمان حتى في

أبسط العلاقات الاجتماعية، وفي المجمل لو أن أضلاعنا كانت غير منتظمة لاندثرت الحضارة وسادت الهمجية.

هل أثب بالقارئ وثبات واسعة حتى أصل به إلى هذه الاستنتاجات الواضحة؟ من المؤكد أن لحظة من التفكير ومثالًا واحدًا من حياتنا العادية سوف يقنعان الجميع بأن نظامنا الاجتماعي قائم على انتظام الأضلاع، أو تساوي الزوايا، فإذا لقيتَ على سبيل المثال اثنين أو ثلاثة من التجار في الطريق، وبنظرة خاطفة إلى زواياهم وأضلاعهم التي يخفت بريقها بسرعة تحققت من أنهم من طبقة التجار، فإنك تستطيع أن تدعوهم إلى بيتك لتناول الغداء، تستطيع أن تفعل ذلك الآن بثقة تامة، لأن الجميع يعرفون — بنسبة خطأ لا تتعدى بوصة واحدة أو اثنتين — المساحة التي يشغلها المثلث البالغ، ولكن تخيل لو أن رأس التاجر (المثلث المنتظم) تجر من ورائها متوازي أضلاع يصل قطره إلى اثنتي عشرة بوصة أو ثلاث عشرة بوصة، ماذا ستفعل مع هذا المسخ الذي لا يتسع لمروره باب بيتك؟

ولكنني أُهين ذكاء القراء بسرد تفاصيل لا بد أنها واضحة تمامًا لكل من يحظى بالعيش في سبيسلاند، فمن المؤكد أن قياس زاوية واحدة لن يكون كافيًا في ظل هذه الظروف العصيبة، فلن يفعل المرء في حياته شيئًا عدا تلمس أو تفحص المحيط الخارجي لمعارفه، ويكفي ما نلاقيه من صعوبات في تجنب التصادم وسط الزحام، وهي صعوبات تستعصي حتى على ذكاء ذوي العلم من المربعات، ولكن لو لم تكن لدينا القدرة على حساب انتظام أضلاع أي من المضلعات في مجتمعنا، لسادت الفوضى والاضطراب، ولتسببت أقل موجة من الهلع في إصابات خطيرة، وربما خسائر كبيرة في الأرواح إذا تصادف وجود نساء أو جنود.

وهكذا تنحاز قابلية التكيف والطبيعة كلتاهما إلى تأييد الانتظام في الأضلاع، ولم يتخلف القانون عن اللحاق بهما في هذا التأييد، فإن «اختلاف الأضلاع» عندنا يعادل الانحطاط الخلقي والميل إلى الإجرام عندكم، أو يزيد عنهما، ونتعامل معه على هذا الأساس، والواقع أننا لا نَعْدَم بعضًا من مروجي المتناقضات الذين يؤكدون أنه ليست هناك علاقة حتمية بين اختلاف الأضلاع والانحراف الخلقي، ويقولون إن المضلع مختلف الأضلاع لا يلقى منذ ميلاده إلا الازدراء من أبويه، والسخرية من إخوته، والاستخفاف والريبة من المجتمع، وهو إلى ذلك مستبعد من جميع الوظائف التي تنطوي على المسئولية والثقة والأنشطة النافعة، وتراقب الشرطة تحركاته كلها عن كثب حتى يصل إلى سن

الرشد فيضع نفسه رهن الفحص، فإن وُجِد أنه يتجاوز هامش الانحراف أُعدِم، وإلا حُبِس في أحد المكاتب الحكومية كموظف من الدرجة السابعة، ممنوع من الزواج، مُكرَه على تحمل المشاق في عمل مضن مقابل راتب زهيد، مُرغم على أن يحيا حياته بالكامل — حتى تناول طعامه وشرابه — في مكان عمله، ولا يأخذ عطلته إلا تحت رقابة مشددة، فما العجب إذن من أن تؤدي هذه العوامل إلى إفساد أفضل الناس طبعًا وأنقاهم سريرة، وتملأهم بالسخط والمرارة!

ولا تقنعني كل هذه الحجج على منطقيتها — كما لم تقنع أكثر الحكماء من رجال الدولة عندنا — أن أسلافنا قد جانبهم الصواب عندما جعلوها حقيقة ثابتة في الدستور أن اختلاف الأضلاع لا يتفق مع أمن الدولة. لا شك أن حياة المضلع مختلف الأضلاع حياة شاقة، ولكن مصالح الأغلبية تستدعي هذه المشقة، فلو أن رجلًا ذا رأس مثلث وجسد عديد الأضلاع سُمِح له بالبقاء وإنجاب ذرية تزيد عليه في اختلاف الأضلاع، ماذا سيكون مصير فنون الحياة؟ هل نقوم بتعديل المنازل والأبواب والكنائس في الأرض المسطحة لتتلاءم مع هذه المسوخ؟ هل يجب على موظفي التذاكر عندنا قياس محيط كل رجل قبل أن يسمحوا له بدخول المسارح أو قاعات المحاضرات؟ هل يُعفَى المضلع مختلف الأضلاع من الخدمة العسكرية؟ وإذا لم يُعْف فكيف نمنعه من جلب الدمار إلى صفوف رفاقه؟ يا لها من إغراءات لا سبيل إلى مقاومتها تلك التي تلح على هذا المخلوق وتدفعه دفعًا إلى الخداع والاحتيال! وكم هو هيِّن عليه أن يدخل متجرًا من المتاجر بمقدمته عديدة الأضلاع وأن يطلب أي كمية من السلع من أحد التجار الذين يحسنون الظن بالآخرين. دع أولئك الذين ينادون «بحب الإنسانية» المزعوم يتوسلون ما شاءوا لإلغاء قانون العقوبات الخاص بالمضلعات مختلفة الأضلاع، فأنا لم ألق بعد مضلعًا مختلف الأضلاع يحيد عن الصفات التي أرادتها له الطبيعة؛ النفاق وبغض الإنسانية وارتكاب كل ما تتيحه له قدراته من ألوان الأذى.

على أنني لا أميل (في الوقت الحاضر) إلى تطبيق الإجراءات شديدة الصرامة التي تتبناها بعض الدول، حيث يعدمون على الفور المواليد الذين تنحرف زاويتهم بمقدار نصف درجة عن القياس الصحيح، فقد كافح بعض من أبرع رجالنا وأعلاهم شأنًا في طفولتهم في ظل انحرافات وصلت إلى خمسة وأربعين جزءًا من الدرجة، وربما زادت على ذلك، وهم رجال يتمتعون بعبقرية حقيقية، ولو أنهم فقدوا حياتهم الثمينة لكانت تلك خسارة لا تعوض للدولة، وقد حققت الفنون العلاجية إلى جانب ذلك بعضًا من

أروع إنجازاتها في عمليات الضغط والإطالة والقطع والوصل وغير ذلك من العمليات الجراحية التي تعالج الاختلاف في الأضلاع كليًّا أو جزئيًّا، وأنا لذلك أؤيد حلًّا وسطًا بألا نضع خطًّا فاصلًا محددًا أو نهائيًّا، ولكن إذا بدأ الهيكل في اتخاذ شكله النهائي، وقرر المجلس الطبي أن الشفاء أمر بعيد الاحتمال، فأقترح في هذه الحالة القضاء على الذرية مختلفة الأضلاع بإعدامهم بالقتل الرحيم دون ألم.

الفصل الثامن

عادة التلوين قديمًا

لو أن القارئ تابعني باهتمام حتى الآن فلن يندهش حين أقول إن الحياة في الأرض المسطحة رتيبة نوعًا ما، ولا أقصد بالطبع أنها تخلو من المعارك والمؤامرات وحوادث الشغب والانقسامات الداخلية وغيرها من الظواهر التي يفترض بها أن تجعل من التاريخ مادة مثيرة، ولا أنكر أيضًا أن المزيج الغريب من مشكلات الحياة ومسائل الرياضيات يحفز الذهن باستمرار للخروج بفرضيات، ويعطي فرصة للتحقق من صحتها في الوقت نفسه، هذا المزيج يعطي حياتنا نكهة لا تستطيعون أنتم في سبيسلاند إدراكها، إنني أتحدث الآن من الناحية الجمالية والفنية عندما أقول إن حياتنا تتسم بالملل، بل إنها مملة جدًّا فنيًّا وجماليًّا.

وكيف لا تكون كذلك وكل أفق المرء، وكل المناظر الطبيعية، والأماكن الأثرية، واللوحات، والزهور، ليست إلا خطًّا مستقيمًا واحدًا، لا تنوُّع فيه عدا درجات من التألق والخفوت؟

لم يكن الأمر دائمًا على هذا النحو، إذ تذكر الروايات القديمة — لو صدقت هذه الروايات — أن أجدادنا في عصور موغلة في القدم قد تمتعوا بنعمة اللون، وأنه أضفى على حياتهم رونقًا عابرًا دام لستة قرون أو يزيد، وكان فرد واحد — وهو مخمس اختلفت الروايات في اسمه — قد اكتشف بمحض الصدفة العناصر التي تتكون منها الألوان البسيطة واكتشف طريقة بدائية للتلوين، ويقال إنه بدأ أول الأمر بزخرفة منزله، ثم عبيده، ثم والده، ثم أبنائه، ثم أحفاده، ثم انتهى بنفسه، وحازت النتائج إعجاب الجميع، وتُجْمِع معظم المراجع الموثوق بها على تسميته بكروماتيستس، وحيثما كان كروماتيستس يتحرك بهيكله الملون كان يثير اهتمام الجميع على الفور ويحوز احترامهم، ولم يعد أحد بحاجة إلى لمسه، ولم يعد أحد يخلط بين مقدمة جسده ومؤخرته، وأصبح

جيرانه يلاحظون كل تحركاته بسهولة دون أن يجهدوا قدراتهم الحسابية، ولم يعد أحد يزاحمه أو يتأخر في إفساح الطريق له، ولم يعد بحاجة إلى بح صوته بالكلام الذي نستخدمه — نحن المربعات والمخمسات عديمة اللون — لنعلن به عن وجودنا عندما نتحرك وسط حشد من الغوغاء من المثلثات متساوية الساقين.

انتشرت هذه الظاهرة كالنار في الهشيم، فقبل أن يمر أسبوع واحد كان كل مربع ومثلث في المنطقة قد حذا حذو كروماتيستس، ولم يصمد إلا قلة من المحافظين من المخمسات، ولم يمر شهر أو شهران حتى كانت عدوى هذا الابتكار قد انتقلت إلى المضلعات ذات الاثني عشر ضلعًا، ولم يكد ينقضي العام حتى كانت تلك العادة قد انتشرت بين الجميع فيما عدا صفوة النبلاء، ومن نافلة القول أن أضيف أن هذه العادة قد انتشرت في مدة قصيرة من المنطقة التي يقطن بها كروماتيستس إلى المناطق المحيطة، وبعد مرور جيلين لم يعد أحد في الأرض المسطحة عديم اللون عدا النساء والكهنة.

بدا هنا أن الطبيعة ذاتها تقيم حاجزًا وتعارض انتقال الابتكارات إلى هاتين الطبقتين، وكان تعدد الأضلاع المبرر الأساسي لدى المبتكرين. «إنما جعلت الطبيعة تمايز الأضلاع من أجل تمايز الألوان» — هذه هي السفسطة التي تناقلتها الألسن في تلك الأيام والتي تبدلت بها ثقافة مدن بأكملها في كل مرة إلى ثقافة جديدة، ولكن من الواضح أن هذا المبدأ لم ينطبق على الكهنة والنساء، فليس للنساء إلا ضلع واحد، ولذا نقول طلبًا للدقة إنهن — من ناحية تعدد الأضلاع — بلا أضلاع على الإطلاق، أما الكهنة فلو صدق زعمهم بأنهم دوائر تامة الاستدارة وليسوا مجرد مضلعات عديدة الأضلاع تنتمي إلى طبقة عالية لها عدد لانهائي من الأضلاع متناهية الصغر، فإنهم يتباهون بما تقر به النساء ويأسفن له، ألا وهو إنهم أيضا بلا أضلاع، إذ منحتهم الطبيعة محيطًا خارجيًّا مكونًا من خط واحد، ولذلك لا تنطبق عليهم المسلَّمة المزعومة القائلة «إن تمايز الأضلاع جُعِل من أجل تمايز الألوان»، وفي الوقت الذي افتتن فيه الجميع بزخرفة الجسد ظل الكهنة والنساء بعيدين عن تلويث أجسادهم بالألوان.

صفها بالفجور أو انعدام الأخلاق أو الفوضوية أو الابتعاد عن المنهج العلمي، أطلق عليها ما شئت من النعوت، ولكن تلك الأيام العتيقة لثورة الألوان كانت من الناحية الجمالية عصرًا لطفولة الفن في الأرض المسطحة، طفولة لم يكتب لها للأسف أن تنضج إلى مرحلة الرجولة بل لم تبلغ زهرة الشباب. كانت الحياة في ذلك الوقت لذة في ذاتها لأن الحياة تعني النظر، حتى في الحفلات الصغيرة، كان النظر إلى المدعوين متعة من

المتع، وقد برهن ثراء التنوع اللوني للحضور في الكنائس والمسارح في أكثر من مناسبة أنه يشتت انتباه أعظم المبشرين والممثلين، ولكن يقال أيضًا إن أكثر المناظر سحرًا وأخذًا بالألباب هو مشهد العرض العسكري الذي يعجز اللسان عن وصف روعته.

مشهد صفوف الجند التي تضم عشرين ألفًا من المثلثات متساوية الساقين وهي تستدير فجأة فتختفي قواعدها قاتمة السواد ليحل محلها البرتقالي والبنفسجي اللذان يميزان ضلعيها المتساويين، وجنود المثلثات متساوية الأضلاع بألوانهم الثلاثة: الأحمر والأبيض والأزرق، وجنود المدفعية من المربعات بألوانهم: البنفسجي الفاتح، والأزرق الزاهي، والأصفر الغامق، والبني المحمر، وهم يدورون بسرعة بالقرب من مدافعهم ذات اللون القرمزي، أما المخمسات والمسدسات ذات الخمسة ألوان والستة ألوان التي تندفع هنا وهناك وتنطلق عبر الميدان فهم يعملون جراحين، وأخصائيين في علم الهندسة، ومعاونين للضباط، وربما كان كل هذا كافيًا ليضفي مصداقية على الرواية المشهورة التي تحكي عن واحد من الدوائر بهره الجمال الفني للقوات التي يقودها، فطرح جانبًا عصا المارشالية وتاجه الملكي، وأعلن أنه منذ ذلك الحين سيستبدل بهما ريشة الرسام، ولا بد أن رقي الحس الجمالي في تلك الفترة قد أحدث أثره في مستوى اللغة والمفردات التي سادت خلال تلك المدة، حتى إن ثراء اللغة والفكر قد ظهر في الكلام العادي لعامة الناس إبان ثورة الألوان، وإننا حتى الآن ندين لذلك العصر بأفضل إنتاجنا الشعري وبما بقي من موسيقى الكلمات في لغتنا الحديثة التي صارت أميل إلى لغة العلم.

الفصل التاسع

المشروع العالمي لقانون الألوان

كانت الفنون العقلية في غضون ذلك تتراجع بسرعة كبيرة.

فما عاد أحد يمارس فن التعرف البصري؛ إذ لم تعد هناك حاجة إليه، وسرعان ما أصبحت علوم الهندسة والاستاتيكا والديناميكا وغيرها من العلوم المشابهة غير ذات أهمية، إلى أن أُهملت وحُقِّر شأنها حتى في جامعتنا، وسرعان ما آل فن التعرف عن طريق اللمس إلى نفس المصير في مدارسنا الابتدائية، وأعلنت طبقة المثلثات متساوية الساقين أنه لم تعد هناك حاجة إلى العينات البشرية ولم يعد يستخدمها أحد، ورفضوا دفع الضريبة المعتادة من طائفة المجرمين لخدمة التعليم، وكانت المثلثات متساوية الساقين تزداد كل يوم عددًا وغطرسة؛ إذ قويت شوكتهم بعد أن أزاحوا عن كاهلهم العبء القديم الذين كان يحقق غرضين في نفس الوقت، فكان من ناحية يروض طبيعتهم الوحشية ومن ناحية أخرى يقلل أعدادهم الهائلة.

وعامًا بعد عام ازداد إيمان طبقات الجنود والحرفيين بأنه ليست هناك فوارق كبيرة بينهم وبين أرقى طبقات الأشكال عديدة الأضلاع، بعد أن ارتفعوا إلى مرتبة المساواة بهم، وتمكنوا من التغلب على كافة المصاعب وحل جميع مشكلات الحياة — الاستاتيكية والديناميكية على السواء — باستخدام عملية التعرف اللوني البسيطة، ولم يكتفوا بالتدهور الطبيعي الذي آل إليه فن التعرف البصري، فتجرءوا على المطالبة بفرض حظر قانوني على جميع أشكال «الفنون الأرستقراطية والاحتكارية»، ومن ثم إلغاء جميع المنح المخصصة لدراسة التعرف البصري، والرياضيات، واللمس، ونظرًا لأن اللون — الذي صار صفة ثابتة عندهم — قد ألغى الحاجة إلى الفوارق الأرستقراطية، فسرعان ما بدءوا يصرون على أن القانون يجب أن يسير في نفس الطريق، وطالبوا منذ

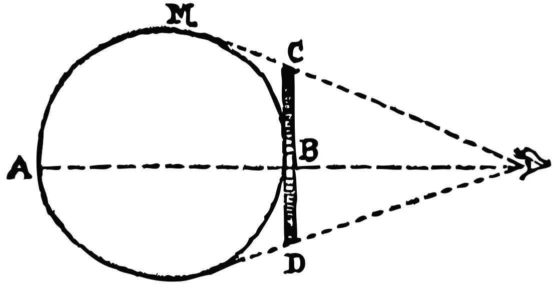
ذلك اليوم بالاعتراف بالمساواة التامة بين جميع الأفراد وجميع الطبقات والتسوية بينهم في الحقوق.

وتمادى زعماء الثورة في مطالبهم عندما وجدوا أن الطبقات العليا قد أصابها التذبذب والتخبط، فطالبوا في نهاية الأمر بأن تُعرِب جميع الطبقات على السواء عن تقديرها للون بخضوعها للتلوين، ولم يستثنوا من ذلك الكهنة ولا النساء، وعندما أُثيرت الاعتراضات على أساس أن الكهنة والنساء بلا أضلاع، أجابوا بأن الطبيعة وقانون التكيف قد اتفقا على أنه لا بد في كل إنسان أن يتميز النصف الأمامي (أي النصف الذي يضم العين والفم) عن النصف الخلفي، ولذلك قاموا في اجتماع عام وطارئ لجميع الدول في الأرض المسطحة بطرح مشروع قانون يقترحون فيه تلوين النصف الذي يحوي العين والفم في جميع النساء باللون الأحمر، وتلوين النصف الآخر باللون الأخضر، واقترحوا أيضًا إجراء العملية نفسها على الكهنة حيث يُلوَّن نصف الدائرة الذي تتوسطه العين والفم باللون الأحمر، ويستعمل اللون الأخضر في تلوين نصف الدائرة الآخر أو الخلفي.

لم يخل هذا الاقتراح من دهاء، والحق أنه لم يصدر عن أي من المثلثات متساوية الساقين، لأن كائنًا على هذه الدرجة من التدني لم يؤت عقلًا يؤهله لاستيعاب هذا النموذج من نماذج الدهاء السياسي، ناهيك عن تدبيره، وإنما صدر عن أحد الدوائر غير المنتظمة الذي أنقذه التسامح الأحمق من الإعدام في طفولته، وحفظ له حياته، ليجلب في آخر الأمر الدمار على بلاده، والهلاك على أعداد لا حصر لها من أتباعه.

فمن ناحية كان الهدف من هذا الاقتراح كسب تأييد النساء من جميع الطبقات لبدعة اللون، فعندما يخصص للمرأة نفس اللونين المخصصين للكهنة فإن أنصار الثورة يضمنون لها أنها — في أوضاع معينة — لن يختلف مظهرها عن مظهر الكاهن، وأنها سوف تلقى لذلك التكريم والاحترام اللائقين، وهو مطمح سيجذب دون شك أعدادًا غفيرة من النساء.

ولكن ربما يتعذر على بعض القراء إدراك إمكانية التطابق المظهري بين الكهنة والنساء في ظل القانون الجديد، ولهؤلاء أوضح الأمر في بضع كلمات.



تخيل امرأة صُبِغ جسدها بالألوان وفقًا للقانون الجديد، وذلك بتلوين النصف الأمامي (أي النصف الذي يحوي العين والفم) باللون الأحمر، وتلوين النصف الخلفي باللون الأخضر، وانظر إليها من أحد الجانبين، من المؤكد أنك سوف ترى خطًّا مستقيمًا نصفه أحمر اللون ونصفه الآخر أخضر اللون.

والآن تخيل أحد الكهنة، يقع فمه عند النقطة M، وهكذا يكون نصف دائرته الأمامي (AMB) أحمر اللون ونصف دائرته الخلفي أخضر اللون بحيث يفصل قطر الدائرة (AB) بين اللونين الأخضر والأحمر، فإذا نظرت إلى هذا الرجل العظيم بحيث يقع مسار نظرك على استقامة واحدة مع القطر (AB) فإنك سترى خطًّا مستقيمًا (CBD)، نصفه (CB) أحمر اللون ونصفه الآخر (BD) أخضر اللون. قد يكون طول الخط المستقيم (CD) أقصر نسبيًّا من طول المرأة البالغة، كما أن ضوءه يخفت بسرعة ناحية الطرفين، ولكن اللونين سيعطيانك انطباعًا فوريًّا عن الطبقة، ولن تنتبه لذلك إلى بقية التفاصيل، ولا تنس التدهور الذي أصاب فن التعرف البصري وهدد المجتمع إبان ثورة الألوان، ثم أضف إلى ذلك الحقيقة المؤكدة أن النساء سرعان ما سيتعلمن إعتام أطرافهن تشبهًا بالدوائر. لا بد أنك عزيزي القارئ قد أدركت أن مشروع قانون الألوان قد عرضنا لخطر كبير من جراء الخلط بين الكهنة والنساء.

لكم أن تتخيلوا كم كان هذا الأمر جذابًا بالنسبة للنساء، فقد كانت السعادة تغمرهن وهن يترقبن البلبلة التي ستنشأ عن ذلك، فقد يستمعن في بيوتهن إلى أسرار سياسية وكنسية لا يُقصَد إطلاعهن عليها، بل أزواجهن أو إخوتهن، وقد يُصدِرن بعض الأوامر باسم أحد الكهنة من الدوائر. أما خارج بيوتهن فالمزيج اللافت من اللونين الأحمر والأخضر دون إضافة أي ألوان أخرى سيؤدي حتمًا إلى أخطاء لا نهاية لها من جانب العامة، وسيئول إلى النساء كل ما سيفقده الكهنة من توقير المارة. وأما عن الفضيحة

التي ستلحق بالكهنة إذا نسب إليهم السلوك الطائش وغير اللائق للنساء، وعما سيعقب ذلك من انهيار للدستور، فليس لنا أن ننتظر من النساء الاهتمام بهذه الاعتبارات، وقد أيدت جميع النساء مشروع قانون الألوان العالمي حتى في بيوت الكهنة.

كان الهدف الثاني من مشروع القانون إضعاف معنويات الكهنة أنفسهم شيئًا فشيئًا، فوسط التدهور الفكري الذي كان سائدًا ظلت طبقة الدوائر محتفظة بنقائها وقوتها الذهنية، ولم يحافظ على فن التعرف البصري المقدس غير النبلاء الذين تربوا منذ نعومة أظفارهم في بيوت عائلاتهم من الدوائر على غياب اللون، وتمتعوا بكل مزايا هذا التدريب الرائع للعقل، ومن ثم فحتى اليوم الذي طرح فيه مشروع قانون الألوان ظلت طبقة الدوائر محتفظة بمكانتها، ليس ذلك فحسب بل أكدت زعامتها لبقية الطبقات بامتناعها عن مسايرة ظاهرة الألوان الشائعة.

وهكذا قرر هذا الداهية مختلف الأضلاع الذي ذكرت سلفًا أنه المدبر الحقيقي لهذا المشروع الشرير أن يحقق هدفين في نفس الوقت؛ أولهما: أن يحط من مكانة السلطة الحاكمة بإجبار الحكام على التدنس بالألوان، وثانيهما: أن يضيع فرصتهم في ممارسة فن التعرف البصري في بيوتهم، حتى يضعف من طاقاتهم الذهنية بحرمانهم من النقاء وانعدام اللون اللذين يسودان بيوتهم، وما إن تتعرض طائفة الدوائر للتلوث بالألوان حتى تضعف الروح المعنوية بين صفوف الآباء والأبناء من الدوائر، ولن يواجه صغار الدوائر من المعضلات ما ينمي عقولهم عدا التمييز بين آبائهم وأمهاتهم، وهي معضلات كثيرًا ما يفسدها خداع أمهاتهم، مما يؤدي بالطفل إلى فقدان الثقة بكل الاستنتاجات المنطقية، وبذلك يخبو التألق الفكري لطائفة الكهنة شيئًا فشيئًا، وعندها يصبح الطريق ممهدًا نحو القضاء الكامل على القوانين الأرستقراطية والتمايز بين الطبقات.

الفصل العاشر

قمع فتنة الألوان

دامت الثورة من أجل تأييد المشروع العالمي لقانون الألوان ثلاثة أعوام، وحتى اللحظة الأخيرة في هذه المدة كان يبدو أن النصر سيكون حليف الفوضى السياسية.

وأبيد جيش كامل من عديدي الأضلاع الذين التحقوا بالجيش كمجندين على يد جيش يفوقهم عددًا من المثلثات متساوية الساقين، وظلت المربعات والمخمسات على الحياد، والأسوأ من ذلك كله أن بعضًا من أبرع الدوائر سقطوا فريسة للصراعات الزوجية، فالزوجات في كثير من بيوت النبلاء أرهقن أزواجهن بالإلحاح عليهم من أجل التخلي عن موقفهم المعارض لمشروع قانون الألوان، وعندما وجد بعض منهن أن توسلاتهن لن تؤتي ثمارها لجأن إلى المباغتة بالهجوم، وقتلن أطفالهن وأزواجهن الأبرياء، وأهلكن أنفسهن في تلك المذبحة، وتفيدنا السجلات التاريخية أنه خلال تلك الثورة التي دامت ثلاثة أعوام هلك ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين من الدوائر في نزاعات أسرية.

كانت الطامة كبيرة، ولم يكن لدى الكهنة خيار إلا الاستسلام أو الهلاك، حتى وقع حادث مفاجئ غير مجرى الأحداث بالكامل، وهو مثال على الحوادث التي لا ينبغي قط أن يتجاهلها رجال الدولة، بل عليهم أن يعدوا العدة لها في أغلب الأحيان، وأن يعملوا على تدبيرها في بعض الأحيان، نظرًا لقدرتها الهائلة على كسب تعاطف العامة.

فيُحكى أن واحدًا من أدنى المثلثات متساوية الساقين منزلة لا يزيد قياس عقله بحال من الأحوال عن أربع درجات كان يلهو مصادفة بألوان أحد التجار بعد أن نهب متجره، وأنه لوَّن جسده عمدًا أو دون قصد (فالروايات تختلف في ذلك) بألوان المضلعات ذات الاثني عشر ضلعًا، ثم توجه إلى السوق، وبصوت مصطنع توجه بالحديث إلى فتاة كان قد سعى فيما مضى إلى كسب ودها دون جدوى، وهي ابنة أحد النبلاء الراحلين من

عديدي الأضلاع، ونجح في إتمام زواجه منها بعد سلسلة من الخدع التي دبرها وأعانه عليها عدد من المصادفات التي وضعها الحظ في طريقه، وهي أطول من أرويها هنا، كما أعانه عليها حماقة غير مفهومة وإهمال للمحاذير المعتادة من جانب أقارب العروس، وقد قتلت الفتاة البائسة نفسها بعدما اكتشفت حقيقة الخدعة التي كانت ضحية لها.

عندما ذاع نبأ هذه الكارثة بين البلاد ثارت النساء ثورة عارمة، وتغيرت نظرتهن تمامًا لمشروع قانون الألوان بسبب تعاطفهن مع الضحية البائسة، وإمكانية وقوع مثل ذلك لهن أو لأخواتهن أو بناتهن، وأعلن عدد ليس بالقليل منهن انتقالهن إلى جبهة المعارضة، ولم تكن الأخريات بحاجة إلا إلى دفعة طفيفة للقيام بإعلان مماثل، وانتهز الكهنة هذه الفرصة التي سنحت لهم، وعقدوا على وجه السرعة اجتماعًا طارئًا للدول، وجلبوا عددًا كبيرًا من الموالين لهم من النساء إلى جانب الحرس المعتاد من السجناء.

ووسط حشد غير مسبوق صعد الكاهن الأكبر في تلك الأيام — وكان يدعى بانتوسيكلاس — ليتلقاه مائة وعشرون ألفًا من المثلثات متساوية الساقين بعاصفة من الصفير والصياح، ولكنه أسكتهم عندما أعلن أن الكهنة منذ ذلك الحين سوف يتبنون سياسة تقوم على التنازل، وأنهم سوف يقرون مشروع قانون الألوان نزولًا على رغبة الأغلبية، وفي الحال هدأ الاحتجاج الصاخب وتحول إلى تصفيق، ودعا الكاهن الأكبر كروماتيستس الذي تزعم الفتنة إلى مركز القاعة ليتلقى نيابة عن أتباعه فروض الولاء من السلطة الحاكمة، ثم ألقيت بعد ذلك كلمة جاءت آية من آيات البلاغة، واستغرقت قرابة يوم في إلقائها، ولا تستطيع الكلمات أن توجز ما بها من بلاغة.

وكست وجهه ملامح الجدية والحيادية عندما أعلن أنهم لمَّا كانوا قد قرروا آخر الأمر الالتزام بالإصلاح أو التجديد، فيجدر بهم أن يلقوا نظرة أخيرة على الملامح العامة للموضوع، مساوئه وميزاته على السواء، وبدأ يتعرض شيئًا فشيئًا إلى ذكر المخاطر التي سيكون التجار وأصحاب المهن والنبلاء عرضة لها، وعند ذلك تعالت همهمة المثلثات متساوية الساقين، ولكنه نبههم إلى أنه مستعد — مع كل هذه المآخذ — للموافقة على مشروع القانون إذا وافقت عليه الأغلبية فسكنت أصواتهم، ولكن كان واضحًا أن الجميع عدا المثلثات متساوية الساقين قد تأثروا بكلماته وأنهم كانوا إما محايدين أو معارضين لمشروع القانون.

ثم انتقل في خطابه إلى العمال وأكد أنه لا ينبغي إغفال مصالحهم، وأنه يجب عليهم على الأقل أن يتفكروا جيدًا في العواقب إذا عزموا الموافقة على مشروع قانون الألوان،

وذكر أن كثيرًا منهم على وشك الانضمام إلى طبقة المثلثات متساوية الأضلاع، وأن غيرهم ينتظرون لأبنائهم تميزًا لا يستطيعون هم أنفسهم أن يطمحوا إليه، وعليهم الآن أن يضحوا بهذا الطموح، فبعد أن يقر العالم كله قانون الألوان لن يعود هناك أي شكل من أشكال التميز، ولن يستطيع أحد التفريق بين انتظام الأضلاع واختلافها، وسيحل التدهور محل التقدم، وفي بضعة أجيال ستنحدر مكانة العمال حتى تصل إلى مكانة الجنود، أو مكانة المساجين، وستتركز السلطة السياسية في يد الفئة الأكثر عددًا، أي فئة المجرمين، الذين يزيدون عددًا عن طبقة العمال، وسرعان ما سيفوقون بقية الطبقات مجتمعة عددًا عندما تُنتهك قوانين الطبيعة التي تحفظ التوازن.

وسرت بين طبقة الصنّاع همهمة خافتة مؤيِّدة، وبدا الانزعاج على كروماتيستس، وحاول أن يتقدم ويوجه إليهم خطابًا، ولكنه وجد نفسه محاصرًا من الحراس ومجبرًا على التزام الصمت، ووجه الكاهن الأكبر بضع كلمات ملتهبة للنساء قائلًا إنه في حالة الموافقة على مشروع قانون الألوان، لن تصبح أي زيجة منذ ذلك الحين آمنة، ولن يسلم شرف المرأة، وسينتشر الغش والخداع والنفاق في كل البيوت، وستنتهي السعادة الزوجية إلى ما انتهى إليه الدستور، إذ سرعان ما ستذهب طيَّ النسيان، ثم صرخ قائلًا: «وقبل كل ذلك، سيأتي الموت.»

وعندما نطق هذه الكلمات التي كانت إشارة متفقًا عليها للتحرك، وثب السجناء من المثلثات متساوية الساقين على كروماتيستس البائس وطعنوه طعنة نافذة، وأفسحت الطبقات منتظمة الأضلاع طريقًا بين صفوفها لمجموعة من النساء يتقدمن بثبات — تحت قيادة الكهنة — بأطرافهن الخلفية القاتلة الخفية عن الأنظار، ويتوجهن للهجوم على الجنود الذين لا يستطيعون رؤيتهن، وحذا الصنَّاع حذو سادتهم فأفسحوا طريقًا بين صفوفهم، وفي غضون ذلك كانت كتائب منيعة من المساجين قد احتلت جميع المداخل.

لم تدم المعركة — أو بالأحرى المذبحة — طويلًا، فقد أصابت كل هجمات النساء تقريبا أهدافها تحت القيادة العسكرية البارعة للكهنة، واستطاع معظمهن إخراج أطرافهن القاتلة سالمة استعدادًا لمذبحة ثانية، غير أنه لم تكن هناك حاجة إلى ضربة ثانية، فقد أهلك بقية الرعاع من المثلثات متساوية الساقين أنفسهم بأنفسهم، إذ ألجمتهم المفاجأة، وقُتِل قائدهم، وهاجمهم من أمامهم عدو خفي عن الأنظار، وقطع عليهم من ورائهم السجناءُ طريق الفرار، ففقدوا على الفور — كما هو دأبهم — قدرتهم على التفكير، وصاحوا «خيانة»، وكان ذلك إيذانًا بهلاكهم، رأى كل منهم خصمه وشعر

بطعنته، وبعد نصف ساعة كان هذا الحشد الهائل قد هلك عن آخره، وامتلأ الميدان بأشلاء مائة وأربعين ألفًا من طبقة المجرمين الذين قتل بعضهم بعضًا، وكأنها تشهد بانتصار النظام.

ولم يتوان الكهنة في السعي نحو تحقيق النصر الساحق، فعفوا عن العمال ولكنهم أعدموا القسم الأعظم منهم، وقاموا على الفور باستدعاء ميليشيات المثلثات متساوية الأضلاع، وعقدوا محكمة عسكرية أعدموا فيها من المثلثات كل من وجدوا سببًا مقنعًا للاشتباه في اختلاف أضلاعه، دون أن يُجري المجلس الاجتماعي قياسات دقيقة، وقامت حملات للتفتيش على منازل الجنود والحرفيين في سلسلة من الزيارات امتدت إلى كل المناطق واستمرت لمدة عام، وجرى خلال تلك المدة تطهير منظم لكل المدن والقرى والضياع من الفائض من الطبقات الدنيا الذي تسبب فيه إهمال دفع الضريبة المعتادة من الجناة إلى المدارس والجامعات، وخرق بقية القوانين الطبيعية التي يشتمل عليها دستور الأرض المسطحة، وهكذا عاد التوازن بين الطبقات من جديد.

ومن نافلة القول أن أذكر أن استعمال الألوان قد أُلغي منذ ذلك الحين، وصارت حيازتها من المحظورات، حتى إن التلفظ بأية كلمة تشير إلى اللون صار جريمة يُعاقَب عليها بعقوبة مشددة، إلا إذا كان الفاعل واحدًا من الكهنة أو حملة الدرجات العلمية من أساتذة العلوم، ويقال إن استخدام اللون لم يزل مباحًا من آن لآخر في شرح بعض المسائل المعقدة في الرياضيات، وذلك فقط في جامعتنا وفي بعض الفصول الدراسية المتقدمة التي تقتصر على النخبة والتي لم أحظ بحضورها بصفة شخصية، وليس لدي ما أقوله في هذا الشأن إلا ما يتردد من شائعات.

والآن لم يعد للون وجود في بقية أنحاء الأرض المسطحة، ولم يعد من بين الأحياء من يتقن فن صنعه إلا شخصًا واحدًا هو الكاهن الأكبر في كل عصر من العصور، وليس له أن يبوح بسره إلا ساعة احتضاره، ولا يبوح به إلا لخليفته في منصبه، ولا يعمل في إنتاج الألوان إلا مصنع واحد، وكل عام يعدمون العمال ويستبدلون بهم عمالًا جددًا، خشية أن يقوم أحدهم بإفشاء السر، وحتى في هذه الأيام لم يزل الأرستقراطيون عندنا يرتعدون فرقًا وهم يستعيدون ذكرى تلك الأيام السحيقة لثورة المشروع العالمي لقانون الألوان.

الفصل الحادي عشر

الكهنة

لقد حان الوقت للتوقف عن الاستطراد في هذه المذكرات الموجزة عن طبائع الأشياء في الأرض المسطحة والانتقال إلى الحدث الأساسي في هذا الكتاب، وهو اكتشافي لأسرار الكون ثلاثي الأبعاد. هذا هو موضوع الكتاب، ولم يكن كل ما سبق إلا مقدمة.

لهذا السبب أجدني مضطرًّا إلى إغفال أمور كثيرة أحسب أن تفسيرها يهم القارئ، مثل: كيف نحرك أجسادنا أو نوقفها عن التحرك مع أننا بلا أقدام؟ وكيف نقيم أبنية ثابتة مصنوعة من الخشب أو الطوب أو الحجارة مع أننا بلا أيدي؟ وليس باستطاعتنا أن نضع أساسات للمباني كما تفعلون عندكم، أو أن نستفيد من الضغط الجانبي للتربة. كيف تتكون الأمطار في المساحات الفاصلة بين المناطق المختلفة عندنا بحيث لا تمنع المناطق الشمالية الأمطار من الوصول إلى المناطق الجنوبية؟ ما طبيعة التلال والمناجم؟ والأشجار والخضروات؟ ما طبيعة المواسم والمحاصيل؟ ما أبجديتنا؟ وما طريقة الكتابة التي نستخدمها لتتناسب مع ألواح الكتابة التي نصنعها على شكل خطوط؟ أجدني مضطرًّا للتغاضي عن كل تلك التفاصيل ومئات غيرها من تفاصيل وجودنا المادي، وأنا لا أذكرها الآن إلا لأوضح للقراء أن الباعث على إغفالها ليس نسيانًا من الكاتب، وإنما احترامًا منه لوقت القارئ.

لا بد أن القارئ ينتظر قبل أن أبدأ الحديث عن الموضوع الأساسي بعض الملاحظات الأخيرة عن أركان الدستور وحماته في الأرض المسطحة، أولئك الذين يتحكمون في سلوكياتنا ويسيطرون على أقدارنا، أولئك الذين يحظون بتقدير العالم بأسره، بل تقديسه، هل من الضروري أن أوضح أنني أقصد الدوائر أو الكهنة؟

أرجو — عندما أطلق عليهم لفظ الكهنة — ألا تفهموا أن هذه الكلمة تعني عندنا ما تعنيه عندكم، فالكهنة عندنا هم الذين يتولون الإشراف على كل الأعمال والفنون والعلوم،

وتوجيه المعاملات التجارية والقيادة العسكرية، وفنون البناء، والهندسة، والتعليم، وإدارة شئون الدولة، وسن التشريعات، والأخلاق، وعلوم الدين، وفي حين أنهم لا يفعلون شيئًا بأنفسهم، فهم من يقفون وراء كل الأعمال العظيمة التي يقوم بها الآخرون.

يظن الجميع أن كل من يطلق عليه لقب دائرة هو في حقيقة الأمر دائري الشكل، ولكن المعروف بين أفراد الطبقات المتعلمة أنه لا يوجد بين الدوائر دائرة حقيقية، بل كلها أشكال عديدة الأضلاع، لها عدد لانهائي من الأضلاع المتناهية في الصغر، وكلما زاد عدد الأضلاع، زاد المضلع قربًا من الاستدارة، وعندما يصبح عدد الأضلاع كبيرًا جدًّا — ثلاثمائة أو أربعمائة ضلع على سبيل المثال، لن يصبح باستطاعة أي منا، مهما كانت لمسته بالغة الحساسية، أن يشعر بزاوية المضلع عديد الأضلاع، وترجع الصعوبة أيضًا — كما أوضحت من قبل — إلى أن التعرف عن طريق اللمس أمر لا تعرفه الطبقات الراقية من المجتمع، ويُعَد لمس الكهنة إهانة صارخة، والامتناع عن استخدام اللمس في الطبقات الراقية من المجتمع يحفظ للكهنة حجاب الغموض الذي يغلفون به طبيعة محيطهم، ونظرًا لأن متوسط محيط الفرد من الدوائر يصل إلى ثلاثة أقدام، ففي مضلع ذي ثلاثمائة ضلع لن يزيد طول كل ضلع عن جزء من مائة جزء من القدم، أو جزء من عشرة أجزاء من البوصة، وفي مضلع ذي ستمائة أو سبعمائة ضلع، لن يزيد طول الضلع إلا قليلًا عن قطر رأس الدبوس عندكم، ودائمًا ما نفترض — من باب التهذيب — أن عدد أضلاع الكاهن الأكبر في كل عصر هو عشرة آلاف ضلع.

لا يرتبط ارتقاء ذرية الكهنة في السلم الاجتماعي — كما هو الحال بين أبناء الفئات الدنيا من الطبقات المنتظمة — بقانون الطبيعة الذي يحدد زيادة عدد الأضلاع في كل جيل بضلع واحد، فلو كان الأمر كذلك لكان حساب عدد أضلاع الكهنة مسألة يسيرة لا تتطلب أكثر من معرفة شجرة العائلة واستخدام علم الحساب، ولكان من المحتم أن يكون الحفيد رقم أربعمائة وسبعة وتسعين للمثلث متساوي الأضلاع مضلعًا ذا خمسمائة ضلع، ولكن واقع الأمر غير ذلك، فناموس الطبيعة يفرض قانونين متناقضين فيما يتعلق بتكاثر الدوائر؛ أولهما: كلما ارتقت السلالة في سلم التطور ازداد معدل التطور، وثانيهما: أن خصوبة السلالة تقل بنفس النسبة التي زاد بها معدل التطور، وبذلك يندر أن نجد ابنًا ذكرًا في منزل مضلع ذي أربعمائة أو خمسمائة ضلع، ويستحيل أن تجد اثنين، ومن المعروف أن ابن المضلع ذي الخمسمائة ضلع يكون ذا خمسمائة وخمسين ضلعًا أو قد يصل إلى ستمائة ضلع.

ويتدخل العلم أيضا ليساعد في عملية تطور الطبقات العليا، فقد اكتشف أطباؤنا أن أضلاع الطفل عديد الأضلاع تكون صغيرة لينة بحيث يسهل كسرها وإعادة تشكيل هيكله بالكامل بدقة عالية، حتى إن مضلعًا ذا مائتين أو ثلاثمائة ضلع قد يستطيع في بعض الأحيان أن يثب مائتين أو ثلاثمائة جيل، ولا يحدث ذلك في كل الأحوال لأن العملية محفوفة بالمخاطر، ونستطيع لذلك أن نقول إنه في خطوة واحدة قد ضاعف عدد أسلافه وارتقي بذريته.

كم من طفل واعد تنتهي حياته في هذه التجربة التي لا يكاد معدل نجاحها يتجاوز واحدًا من كل عشرة، غير أن هؤلاء الآباء عديدي الأضلاع الذين يعيشون على هامش طبقة الدوائر يغالون في طموحهم أشد المغالاة، حتى إنك لا تجد واحدًا منهم يتوانى عن الزج بطفله الأول في مؤسسات الدوائر للطرق العلاجية الحديثة قبل أن يتم شهره الأول.

ويتحدد بعد مرور عام نجاح أو فشل التجربة، وأغلب الظن أن الطفل بنهاية هذا الوقت سيكون قد أضاف شاهد قبر آخر إلى مجموعة الشواهد التي تعج بها مقبرة المؤسسة العلاجية الحديثة، ولكن في أحيان نادرة يعود الطفل محمولًا في موكب سعيد إلى والديه اللذين تملؤهما السعادة والفخر، فلم يعد ولدهما عديد الأضلاع بل دائرة، على الأقل هكذا يدعونه من باب التهذيب. وحالة واحدة لهذا النجاح تحفز أعدادًا هائلة من الآباء عديدي الأضلاع على التضحية بأبنائهم في تجارب مماثلة تتفاوت في نتائجها.

الفصل الثاني عشر

مذهب كهنتنا

أما عن مذهب كهنتنا فأستطيع أن ألخصه في قاعدة واحدة وهي «اعتن ببنيتك الخارجية»، فكل تعاليمهم سواء السياسية أو الكنسية أو الأخلاقية تهدف إلى تطوير بنية الفرد والجماعة، مع التركيز بطبيعة الحال على بنية الدوائر، وهو الهدف الذي تتضاءل إلى جانبه بقية الأهداف.

يرجع الفضل إلى الكهنة في دحض البدع القديمة التي أدت بالرجال إلى إهدار طاقاتهم وعواطفهم على المبدأ الفاسد القائل بأن سلوك الإنسان يخضع لإرادته، وكان بانتوسيكلاس — الكاهن العظيم الذي ذكرت من قبل أنه هو من تولى قمع ثورة الألوان — هو أول من هدى البشرية إلى أن بنية الرجل هي التي تصنعه، ولو أنك — على سبيل المثال — وُلِدت مثلثًا متساوي الساقين ذا ضلعين غير متساويين، فمن المؤكد أنك سوف تنحرف عن جادة الطريق ما لم تعالج هذا الخلل في واحدة من مستشفيات المثلثات متساوية الساقين. وبالمثل لو أنك من المثلثات أو المربعات أو حتى واحدًا من الأشكال عديدة الأضلاع وولدت مصابًا باختلاف في الأضلاع، فعليك أن تتوجه إلى إحدى مستشفيات الأشكال منتظمة الأضلاع لعلاج هذا الخلل، وإلا كانت نهايتك في سجن الدولة، أو على يد الجلاد.

عزا بانتوسيكلاس جميع الآثام والنقائص — بدءًا من أبسط التصرفات المنافية لقواعد السلوك القويم حتى أبشع الجرائم — إلى نوع من الانحراف عن الانتظام التام في بنية الجسم، وإن لم يكن هذا الانحراف عيبًا خلقيًّا فربما كان ناشئًا عن تصادم وسط الزحام، أو إهمال أداء التمارين الرياضية، أو الإفراط فيها، أو قد يكون ناشئًا عن تغير مفاجئ في درجة الحرارة سبَّب انكماشًا أو تمددًا في جزء من الأجزاء الحساسة سريعة التأثر في الهيكل الخارجي للجسم، ولذا انتهي الفيلسوف اللامع بانتوسيكلاس إلى أن

حسن السلوك وانحرافه ليسا مقياسًا موضوعيًّا للمدح أو الذم في تقدير العقلاء، فلماذا تمتدح — على سبيل المثال — أمانة المربع الذي يدافع بإخلاص عن مصالح موكِّله في حين أن عليك في الواقع أن تمتدح بدلًا من ذلك دقة زواياه القائمة؟ وعلى الجانب الآخر، لِمَ تلوم مثلثًا متساوي الساقين على الكذب أو السرقة في حين أنه يجب عليك أن تأسى لاختلاف أضلاعه الذي لا أمل في علاجه؟

وأرى أن هذا المذهب صحيح تمامًا من الناحية النظرية، غير أن به ثغرات من الناحية العملية، فلو أن أحد الأوغاد من المثلثات متساوية الساقين زعم أنه لا يملك منع نفسه عن السرقة بسبب اختلاف أضلاعه، فعليك أن تجيبه أنه لهذا السبب بالتحديد — لأنه لا يستطيع كف نفسه عن إيذاء جيرانه — فأنت أيضًا بوصفك قاضيًا لا تملك إلا أن تحكم عليه بالإعدام، وهذا هو فصل الخطاب. على أنه في النزاعات الأسرية الصغيرة التي لا يكون الحكم بالإعدام واردًا فيها يوقعنا تطبيق نظرية بنية الجسم أحيانًا في بعض المآزق، فمن آن لآخر يؤثر الارتفاع المفاجئ في درجة الحرارة سلبًا على محيط أحد حفيديَّ المسدسين، ويتخذ من ذلك حجة لتبرير عصيانه، ويقول إنني يجب ألا ألقي باللوم عليه بل على بنية جسده التي لا يقويها إلا وفرة من أفضل أنواع الحلوى، وتصيبني الحيرة عندما أواجه هذا المأزق؛ فلا أراه منطقيًّا أن أرفض أحكامه، ولا أراه عمليًّا أن أقبلها.

وأرى من جانبي أن للتعنيف الشديد أثرًا خفيًّا في تقوية البنية الجسدية لأحفادي، مع أنني أعترف بأنني لا أملك مبررات منطقية لهذا الاعتقاد، وعلى أي حال فلست وحدي من يتخلص من هذا المأزق بهذه الطريقة، إذ إنني أجد أن كثيرًا من أعلى الكهنة منزلة — الذين يشغلون مقاعد القضاة في دور القضاء — يلجئون إلى المديح والتوبيخ في تعاملهم مع المضلعات المنتظمة وغير المنتظمة، وأعلم بحكم خبرتي أنهم عندما يوبخون أبناءهم في بيوتهم تنتابهم الحماسة وهم يتحدثون عن الصواب والخطأ، كما لو كانوا يعتقدون أن لهذه الكلمات كيانًا ملموسًا، وأن للإنسان القدرة على اختيار أي منهما.

وفي إصرارهم الدائم على تطبيق سياستهم التي تجعل من بنية الجسم فكرة أساسية في كل العقول، يناقض كهنتنا جوهر الوصايا التي تحكم في عالمكم العلاقة بين الآباء والأبناء، فعندكم يعلمون الأطفال احترام آبائهم، أما عندنا — فإلى جانب الكهنة الذين هم محل تقدير العالم بأسره — يعلمون الرجل أن يحترم الذكور من أحفاده إذا كان له أحفاد، وأن يحترم الذكور من أولاده إن لم يكن له أحفاد، ومع ذلك فالاحترام هنا لا يعني التدليل بحال من الأحوال، ولكن يعني احترام مصالحهم العليا إلى حد التقديس،

ويعلمنا الكهنة من الدوائر أن من واجب الآباء أن يقدموا مصلحة أبنائهم على مصلحتهم الشخصية، وبذلك يزيدون رفاهية الدولة بكاملها بالإضافة إلى رفاهية ذريتهم.

يبدو لي أن الثغرة الوحيدة في نظام الكهنة تكمن في علاقتهم بالنساء، هذا إذا كان يجوز لمربع متواضع مثلي أن يتحدث عن نقاط ضعف في أي أمر يتعلق بالكهنة.

لما كان الحد من المواليد مختلفي الأضلاع أمرًا في غاية الأهمية لمجتمعنا، فإن أي امرأة كان أسلافها يعانون نوعًا من اختلاف الأضلاع لا يمكن أن تكون زوجة مناسبة لرجل يرغب في أن ترتقي ذريته بخطى ثابتة في السلم الاجتماعي.

إن عدم انتظام الأضلاع في الذكور مسألة تخضع للقياسات، ولكن النساء كلهن خطوط مستقيمة، ولذا فهن جميعًا يظهرن منتظمات إذا جاز لنا القول، وعلينا هنا أن نبتكر وسيلة أخرى للتحقق مما أدعوه عدم الانتظام الخفي في بنيتهن، أي التشوهات التي يحتمل أن تظهر في ذريتهن، ونعتمد في ذلك على سجلات النسب التي تتولى الدولة مسئولية حفظها والإشراف عليها، ولا يسمح للمرأة بالزواج ما لم يكن لديها سجل نسب موثق.

لعلكم تظنون أن رجلًا من طبقة الدوائر يعتز بنسبه، ويرجو أن يأتي من ذريته من قد يشغل يومًا ما منصب الكاهن الأكبر، سيكون أحرص الناس على أن يتخير زوجة لا تشوب نسبها شائبة، ولكن الواقع خلاف ذلك، فيبدو أن الحرص على اختيار زوجة تحمل صفة انتظام الأضلاع يقل كلما ارتقى الرجل في المرتبة الاجتماعية، فلا شيء يغري مثلثًا متساوي الساقين — يطمح أن يكون ابنه مثلثًا متساوي الأضلاع — بالزواج من امرأة كان أحد أسلافها مصابًا بخلل في الأضلاع، ولكن المربع أو المخمس الذي يثق بأن عائلته تتقدم بخطى ثابتة على طريق الارتقاء لا يتحرى أبعد من خمسمائة جيل، ولا تبالي المسدسات والمضلعات ذات الاثني عشر ضلعًا كثيرًا بسجل نسب الزوجة. أما الرجل من الدوائر فيتعمد الزواج من امرأة كان جدها الثاني مختلف الأضلاع، وذلك بسبب البريق الذي تتمتع به، أو بسبب صوتها المنخفض الذي نراه صفة رائعة في المرأة.

وكما لنا أن نتوقع فهذه الزيجات التي لا يحكمها العقل تكون عقيمة، إن لم تأت بذرية تعاني خللًا أو نقصانًا في الأضلاع، لكن هذه الأضرار ليست رادعة بما يكفي، ففقدان بضعة أضلاع من أحد المضلعات الراقية أمر لا نلحظه بسهولة، ويعالج أحيانًا بجراحة ناجحة في المؤسسة العلاجية الحديثة كما ذكرت في الفصل السابق، ويميل الكهنة كثيرًا إلى الإيمان بأن العقم واحد من ثوابت التطور، غير أنه لو لم يوضع حد

لهذه الكارثة، فقد يتسارع معدل التناقص التدريجي في طبقة الدوائر، ولن يمر زمن طويل حتى يتداعى دستور الأرض المسطحة عندما تعجز سلالة الدوائر عن أن تقدم كبيرًا للكهنة.

أرى أن عليَّ أن ألفت الأنظار إلى أمر آخر يتعلق بعلاقتنا بنسائنا، مع أنني لا أستطيع أن أذكر له علاجًا سهلًا، فقبل ثلاثمائة عام أصدر الكاهن الأكبر قرارًا ينص على أنه ينبغي ألا تُعامل النساء على أنهن مخلوقات عاقلة، ويجب ألا يتلقين أيًّا من العلوم العقلية، إذ إنهن يفتقرن إلى العقل ويتمتعن بفيض من العواطف. وكان من جراء ذلك أن حرمت النساء من تعلم القراءة، وتعلم مبادئ الحساب اللازمة لعد زوايا أزواجهن وأبنائهن، ولذا تراجعت القدرات الذهنية للنساء في كل جيل تراجعًا ملموسًا، ولا يزال هذا النظام القائم على عدم تعليم الإناث سائدًا.

وأخشى ما أخشاه — ولا أقصد بقولي إلا خيرًا — أن الأمد قد طال بهذه السياسة حتى أضرت بالرجال.

فعاقبة ذلك أن علينا — نحن الرجال — الآن أن نحيا حياة مزدوجة؛ نتحدث بلغتين، بل لعلنا أيضًا نعيش بعقليتين، فمع النساء نتحدث عن «الحب» و«الواجب» و«الصواب» و«الخطأ» و«العطف» و«الأمل» وغيرها من المفاهيم العاطفية المنافية للعقل التي لا وجود لها في الواقع، ولا تفيدنا هذه الأوهام إلا في السيطرة على العواطف الزائدة عند النساء، ولكن بيننا نحن الرجال، وفي كتبنا، نستخدم مفردات مغايرة تمامًا، بل تكاد تكون لغة أخرى، فيصبح «الحب» «حرصًا على المنفعة»، ويصبح «الواجب» «اضطرارًا» أو «تحقيقًا لمصلحة»، وعلى هذا النحو تتغير بقية الكلمات. ثم إننا فضلًا عن ذلك نستخدم مع النساء لغة تشي بالاحترام الكامل لجنسهن، حتى إنهن يؤمنَّ إيمانًا كاملًا بأن الكاهن الأكبر نفسه لا يحظى عندنا بنفس التقدير الذي يحظين به، ولكننا لا نراهن إلا كائنات حرمت نعمة العقل، ولا نتحدث عنهن في غيابهن إلا على هذا النحو، عدا الصغار منا.

حتى إن ما نبديه أمام نسائنا من الدين يختلف اختلافًا تامًّا عما نظهره في أي مكان آخر.

ومبعث خوفي الآن هو أن ثقافة الازدواج هذه — في اللغة والفكر على حد سواء — تعد عبئًا ثقيلًا على صغارنا، خصوصًا عندما يُنزَعون في الثالثة من عمرهم من أحضان أمهاتهم، ويُؤمرون بمحو اللغة القديمة من عقولهم، وألا يرددوها إلا على

مسامع أمهاتهم ومربياتهم، وأن يتعلموا المفردات والمصطلحات العلمية. وأظن أنني ألمس ضعفًا في استيعاب الحقائق الرياضية في الوقت الحالي مقارنة بما كان يتمتع به أجدادنا من ذكاء متوقد منذ ثلاثمائة عام. ولن أتطرق للحديث عن الخطر الذي قد يتهددنا إذا استطاعت امرأة أن تتعلم القراءة خلسة وأن تنقل لبنات جنسها حصيلة قراءتها المتأنية لكتاب واحد من الكتب الشائعة، ولن أتطرق إلى الحديث عما قد يؤدي إليه طيش الصبية أو تمردهم من كشف لأسرار لغة المنطق أمام أمهاتهم. وخوفًا على عقلية الرجال من أن يعتريها ضعف أو وهن، أرفع هذا الالتماس المتواضع إلى السلطات العليا لكي تعيد النظر في القوانين التي تنظم تعليم المرأة.

الجزء الثاني

عوالم أخرى

«كم هي رائعة هذه العوالم الجديدة، التي تحظى بهؤلاء الناس.»

الفصل الثالث عشر

كيف تراءت لي في المنام الأرض الخطية

حدث ذلك في اليوم قبل الأخير من عام ١٩٩٩ من زمننا، وكان أول أيام العطلة الدراسية الطويلة، وكنت قد أمضيت الوقت حتى ساعة متأخرة في ممارسة هوايتي المفضلة، وهي علم الهندسة، ثم أخلدت إلى النوم ولم تزل تلح على عقلي مسألة لم أنته من حلها، وفي الليل رأيت حلمًا.

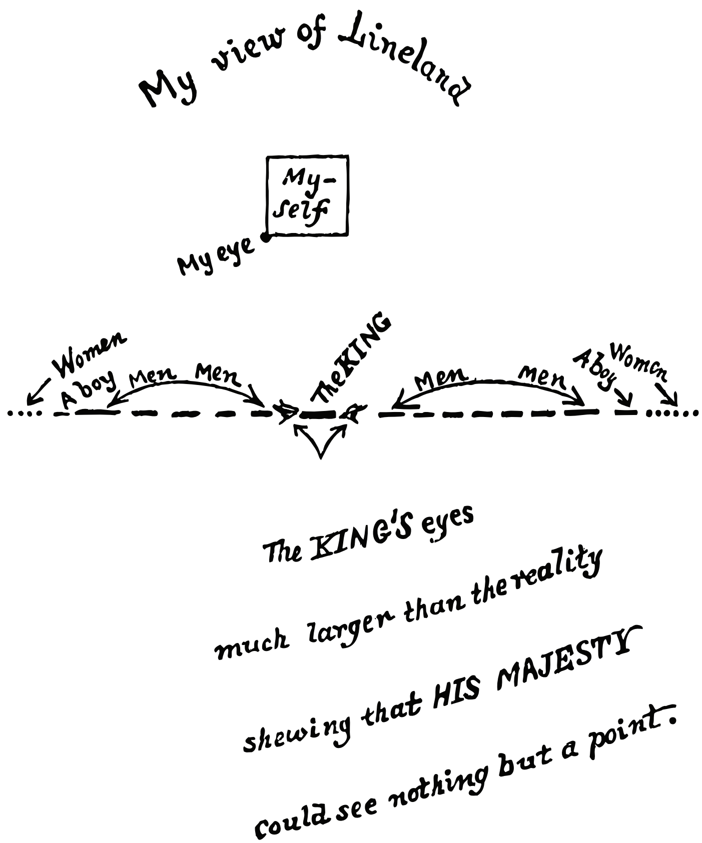
رأيت أمامي عددًا هائلًا من الخطوط المستقيمة الصغيرة (حسبت بطبيعة الحال أنها من النساء) تنتشر بينها كائنات أخرى أصغر منها تظهر على هيئة نقاط لامعة، وتتحرك كلها جيئة وذهابًا في نفس الخط المستقيم وبنفس السرعة حسبما بدا لي.

وكانوا عندما يتحركون تنبعث منهم من آن لآخر أصوات كثيرة مختلطة كزقزقة العصافير، ولكنهم كانوا أحيانًا يتوقفون عن الحركة، وعندئذ كان يسود الصمت.

ودنوت من أكبر من ظننتهن من النساء، وبادرتها بالكلام ولكنني لم أتلق أي رد، وحاولت مرة ثانية وثالثة ولكن دون جدوى، وعندما نفد صبري إزاء ما بدا لي وقاحة لا تحتمل، وضعت فمي في مواجهتها لأعترض حركتها، ورفعت صوتي بالسؤال مرة ثانية: «ما الذي يعنيه هذا التجمهر يا امرأة؟ وهذه الزقزقة الغريبة المختلطة؟ وهذه الحركة الرتيبة جيئة وذهابًا في نفس الخط المستقيم؟»

أجاب هذا الخط الصغير: «أنا لست امرأة، أنا ملك العالم، ولكن أنت يا هذا، من أين أتيت لتقتحم عليَّ مملكتي، مملكة الأرض الخطية؟» وإذ تلقيت هذا الرد المفاجئ، أبديت اعتذاري إن كنت قد أفزعت أو أزعجت جلالته بطريقة أو بأخرى، وأوضحت له أنني غريب، ورجوته أن يصف لي أراضي مملكته، غير أنني واجهت صعوبة بالغة في الحصول على أي معلومات حول النقاط التي كانت تثير اهتمامي حقًّا، لأن الملك كان

يفترض طيلة الوقت أن ما هو مألوف لديه لا بد أن يكون معلومًا لي، وأنني أدعي الجهل على سبيل الدعابة، لكنني استطعت بالإلحاح في السؤال أن أحصل على المعلومات الآتية:



كان واضحًا أن هذا المسكين الجاهل الذي لقَّب نفسه بالملك مقتنع بأن هذا الخط المستقيم الذي يعيش فيه ويدعوه مملكته هو العالم كله، بل الكون بأسره، ولم يكن يدري شيئًا عما هو خارج هذا الخط المستقيم لأنه لا يستطيع أن يتحرك خارجه أو أن يرى أي شيء خارجه، ومع أنه سمع صوتي عندما خاطبته أول مرة، فإن الصوت كان غريبًا على مسامعه فلم يرد، لأنه على حد تعبيره «لم ير إنسانًا، وسمع صوتًا كأنما يخرج من أحشائه»، وحتى اللحظة التي وضعت فيها فمي في عالمه لم يرني ولم يسمع

شيئًا عدا أصوات مختلطة تصطدم بما حسبتُه جانبه، وأسماه هو أحشاءه أو معدته، ولم يكن لديه حتى الآن أدنى فكرة عن المنطقة التي أتيت منها، فكل ما هو خارج عالمه — أو خطه — لم يكن في نظره إلا فراغًا؛ لا ليس فراغًا، لأن الفراغ يعني ضمنًا الفضاء، لنقل إذن إن خارجه العدم.

ورعيته جميعًا لا يتحركون إلا في هذا الخط المستقيم ولا يجاوزونه بأبصارهم، فهو كل عالمهم، وليست هناك حاجة لأن أضيف أن كل أفقهم محدود في نقطة، ولا يستطيع أي منهم أن يرى شيئًا عدا نقطة، وتستوي في ذلك كل المرئيات: الرجال والنساء والأطفال والجمادات، كل منها لا يزيد في نظر سكان الأرض الخطية عن نقطة، ولا يستطيعون تمييز الجنس أو العمر إلا عن طريق الصوت. ولما كان كل فرد يحتل بالكامل الطريق الضيق — إذا جاز التعبير — الذي يتكون منه عالمهم، ولا يستطيع أحدهم أن يتحرك جهة اليمين أو جهة اليسار ليفسح الطريق للعابرين، فلا يمكن لواحد من سكان الأرض الخطية أن يتخطى الآخر، فما داما متجاورين فسيبقيان كذلك إلى الأبد، إن علاقة الجوار عندهم تشبه علاقة الزواج عندنا، يظل الجيران جيرانًا حتى يفرق الموت بينهم.

إن هذه الحياة التي لا يرى المرء فيها إلا نقطة، ولا يتحرك إلا في خط مستقيم، بدت لي كئيبة بما يفوق الوصف، واندهشت إذ لاحظت الحيوية والبهجة اللتين تميزان الملك، وتساءلت إن كان ممكنًا في ظل هذه الظروف التي لا تلائم العلاقات الأسرية أن يتمتع الناس بعلاقات زوجية طبيعية، وترددت لبعض الوقت في أن أوجه لجلالته سؤالًا حول أمر على هذه الدرجة من الحساسية، ولكنني استجمعت شجاعتي آخر الأمر وسألته فجأة عن صحة عائلته، فأجابني: «إن زوجاتي وأبنائي يتمتعون بالصحة والسعادة.»

أذهلني رده، لأنني — كما لاحظت في الحلم قبل أن أدخل الأرض الخطية — لم أر بجوار الملك إلا رجالًا، فقلت له: «معذرة ولكنني لا أستطيع أن أتصور كيف تستطيع جلالتك في أي وقت من الأوقات أن تدنو من الملكات في حين أن بينك وبينهم ما لا يقل عن نصف دستة من الأشخاص، وأنت لا تستطيع أن تخترقهم ببصرك ولا أن تمر من جانبهم، هل لا يعد التجاور في الأرض الخطية ضروريًّا للزواج وإنجاب الأطفال؟»

أجاب الملك: «كيف تسأل سؤالًا بهذا السخف؟ لو كان الأمر كما تقول لخلا الكون من سكانه في وقت قصير، لا ليس التجاور ضروريًّا كي تتحد القلوب، وإنجاب الأطفال مسألة أكثر أهمية من أن تترك رهنًا لتصادف الجوار. لا يمكن أن تكون غافلًا عن ذلك، ومع ذلك إذا كان يَسرُّك تَصنُّع الجهل فسوف أعلمك كما لو كنت طفلًا صغيرًا في الأرض الخطية، اعلم إذن أننا نعتمد في إتمام الزواج على الصوت وحاسة السمع.»

«أنت تعلم دون شك أن لكل رجل عينين وفمين، أو صوتين، صوت من طبقة الباص في أحد طرفيه وصوت من طبقة التينور في الطرف الآخر. يجب ألا أذكر ذلك ولكنني عجزت عن تمييز طبقة التينور عندك طوال حديثنا»، فأجبته بأنني لا أملك إلا صوتًا واحدًا، وأنني لم أكن أعلم أن لجلالته صوتين. قال الملك: «هذا يؤكد انطباعي عنك أنك لست رجلًا، وإنما مسخًا أنثويًّا ذا صوت من طبقة الباص، وأذنًا لم تتدرب قط، ولكن لنواصل حديثنا.»

«لما كانت الطبيعة نفسها قد قضت بأن يتزوج كل رجل من امرأتين ...»، فقاطعته متسائلًا: «ولماذا اثنتين؟» ولكنه صرخ قائلًا: «لقد بالغتَ يا هذا في تصنع السذاجة، كيف يمكن أن يتحقق التناغم التام دون اتحاد الأربعة في واحد؟ وأعني الباص والتينور المميزين للرجل والسوبرانو والكونترألتو للمرأتين»، فقلت: «ولكن ماذا لو آثر رجل الزواج من امرأة واحدة أو ثلاث نساء؟»، فأجاب: «هذا مستحيل، كما يستحيل على العقل أن يتصور أن يكون ناتج جمع واحد واثنين هو خمسة، وكما يستحيل أن ترى عين الإنسان خطًّا مستقيمًا»، وكنت على وشك أن أقاطعه ولكنه واصل حديثه فقال:

> «يفرض علينا قانون الطبيعة مرة في منتصف كل أسبوع أن نتحرك جيئة وذهابًا بحركة إيقاعية أقوى من حركتنا المعتادة، تستغرق الوقت الذي تحتاجه أنت لتعد حتى مائة وواحد، وفي منتصف هذه الرقصة الجماعية، عندما تصل في العد إلى واحد وخمسين، يتوقف جميع سكان العالم دفعة واحدة، ويطلق كل منهم أفضل أنغامه وأرقها، وفي هذه اللحظة الحاسمة تتم زيجاتنا كلها. كم يكون التآلف رائعًا بين الطبقات العليا والطبقات الدنيا من الأصوات، بين التينور والكونترألتو، حتى إن المتحابين يتعرف أحدهما في الحال نغمة الاستجابة التي يطلقها محبوبه الذي أهداه إياه القدر عبر مسافة تصل إلى عشرين ألف ميل، ويجمع الحب شمل ثلاثتهم مخترقًا حواجز البعد الواهية، وتنتج عن مثل هذا الزواج ذرية تتكون من ثلاثة من الذكور والإناث الذين يتخذون أماكنهم في الأرض الخطية.»

فقلت: «ماذا! دائمًا ثلاثة؟ فهل لا بد أن تضع إحدى الزوجتين دائمًا توءمًا؟»

فأجاب الملك: «نعم أيها المَسْخ غليظ الصوت، وإلا كيف يمكننا أن نحفظ التوازن بين الجنسين لو لم تكن نسبة المواليد من الإناث إلى المواليد من الذكور هي اثنين إلى

واحد؟ هل تجهل أبجدية الطبيعة؟» ثم تَملَّكه الغضب فتوقف عن الكلام، ومضى بعض الوقت حتى استطعت أن أستحثه على مواصلة حكايته.

«ولا تحسب أن كل أعزب منا يجد شريكتي حياته عند أول محاولة للتودد في هذا الكورال العالمي للزواج، فمعظمنا — على العكس من ذلك — يكرر ذلك مرات كثيرة، وقليلة هي القلوب التي يصادفها حسن الحظ في أن تتعرف على صوت شريكها، وأن تحلق في عناق متبادل تام التناغم. وتطول فترة التودد مع معظمنا، وقد يتناغم صوت الرجل مع واحدة من زوجتيه المرتقبتين دون الأخرى، وقد لا يتناغم في أول الأمر مع أي منهما، وقد لا يتآلف السوبرانو مع الكونترألتو تآلفًا تامًّا، وتقضي الطبيعة في مثل هذه الحالات بأن يلتقي المحبون الثلاثة في الحفل الغنائي الأسبوعي ويزداد التناغم والتآلف بينهم، وفي كل مرة يجربون فيها أصواتهم أو يكتشفون فيها نشازًا جديدًا يسعى من يعاني نقصًا إلى تعديل صوته طلبًا للكمال، وبعد محاولات كثيرة ومساع نحو الكمال، يتحقق الهدف المنشود، ويأتي في النهاية يوم يقام فيه الكورال المعتاد للزواج في الأرض الخطية، ويجد المتحابون الثلاثة بغتة أنهم في تناغم تام، ثم — قبل أن يدري أي منهم — يندمج ثلاثتهم في عناق صوتي مزدوج، وتسري في الطبيعة بهجة لهذا الزواج الجديد والمواليد الثلاثة الجدد.»

الفصل الرابع عشر

كيف حاولت عبثًا أن أشرح طبيعة الأرض المسطحة

رأيت أن الوقت قد حان لأهبط بالملك من سماء نشوته إلى أرض المنطق السليم، وقررت أن أحاول أن أكشف له لمحات من الحقيقة، عن طبيعة الأشياء في الأرض المسطحة، وهكذا بدأت على هذا النحو: «كيف تميز جلالتك ملامح وأماكن رعاياك؟ فقد لاحظت بحاسة الإبصار قبل أن أدخل مملكتك أن بعضًا من شعبك من الخطوط المستقيمة، والبعض الآخر من النقاط، وأن بعضًا من الخطوط أكبر من غيرها»، فقاطعني الملك قائلا: «إن ما تتحدث عنه مستحيل، فلا بد أنك رأيت حلمًا، لأن تمييز الفارق بين الخط والنقطة — كما هو معروف للجميع — أمر مستحيل في طبيعة الأشياء، ولكن يمكن تمييزه عن طريق حاسة السمع، وتستطيع أن تتحقق تمامًا من شكلي على هذا النحو، انظر إليّ، أنا أطول الخطوط في الأرض الخطية، يزيد حجمي على ست بوصات ...» فتجرأت على مقاطعته قائلًا: «بل طولك»، فأجاب: «أيها الأحمق، الحجم هو الطول، ثم إياك أن تقاطعني مرة ثانية وإلا توقفتُ عن الكلام.»

اعتذرت إليه، ولكنه استمر في التوبيخ قائلًا: «ما دام القول لا يجدي معك، فسوف تسمع بأذنك كيف أستطيع باستخدام صوتَيَّ أن أنقل صورتي لزوجتَيَّ اللتين تبعدان عني الآن ستة آلاف ميل وسبعين ياردة وقدمين وثمان بوصات، وإحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب، أنصت ها أنا أنادي عليهما.»

أطلق زقزقة ثم استأنف حديثه شاعرًا بالرضا عن نفسه: «إن زوجتَيَّ تستقبلان الآن أحد صوتَيَّ يتبعه الآخر مباشرة، وتدركان أن الصوت الثاني يصلهما بعد فاصل زمني يقطع فيه الصوت مسافة طولها ٦٫٤٥٧ بوصة، وهكذا تستنتجان أن أحد فميّ يبعد عن الآخر بمقدار ٦٫٤٥٧ بوصة، وتعرفان بذلك أن طولي هو ٦٫٤٥٧ بوصة، ولكنك

سوف تدرك بالطبع أن زوجتَيَّ لا تقومان بهذه العمليات الحسابية في كل مرة تسمعان فيها صوتي، فقد قامتا بها مرة واحدة عندما تزوجنا، ولكن بمقدورهما إجراءها في أي وقت، وأستطيع بنفس الطريقة أن أقدر طول أيٍّ من رعاياي من الذكور باستخدام حاسة السمع.»

فقلت: «ولكن ماذا لو استخدم رجل أحد صوتيه ليقلد صوت امرأة؟ أو أخفى نبرات صوته الجنوبي بحيث لا يميز أحد أنه صدى الصوت الشمالي؟ ألن تسبب هذه الخدع إزعاجًا كبيرًا؟ ثم أليس لديكم وسائل لكشف مثل هذه الخدع بأن تأمروا المتجاورين من رعاياكم بلمس أحدهم الآخر؟» كان ذلك سؤالًا في غاية الغباء، لأن حاسة اللمس ما كانت لتفي بالغرض، ولكنني كنت أرمي من وراء سؤالي إلى أن أثير ثائرة الملك، وقد نجحت في ذلك تمامًا.

«ماذا!» صرخ الملك في فزع، «أوضح مقصدك»، فأجبته: «التحسس، التلامس، الاتصال»، فقال: «إذا كنت تقصد باللمس شدة التقارب حتى تتلاشى المسافات الفاصلة بين الفردين، فاعلم أيها الغريب أن عقوبة هذه الجريمة في بلادنا هي الموت، والسبب واضح، فإن البنية الجسدية الضعيفة للمرأة عرضة لأن تتهشم من جراء هذا التقارب، ويجب على الدولة أن تحميها من ذلك، ولما كان من العسير تمييز النساء من الرجال باستخدام حاسة الإبصار، فالقانون ينص على أنه لا يجوز الاقتراب من النساء أو الرجال إلى الحد الذي يلغي المسافة الفاصلة بين الفرد ومن يجاوره.»

«وما الهدف الذي سيتحقق من وراء هذا التجاوز في القرب الذي تأباه الطبيعة ويحرمه القانون، وتسميه أنت اللمس؟ لاسيما أن كل ما نسعى إليه من وراء هذه العملية الهمجية الخشنة يمكن أن يتحقق على نحو أكثر دقة وسهولة باستخدام حاسة السمع، أما عن خطر الخداع الذي تتحدث عنه فليس له وجود، لأن الصوت هو جوهر كيان كل منا، ولا يستطيع المرء أن يغيره كيفما يشاء، ولكن لنفترض أنني أمتلك القدرة على المرور عبر الأجسام الصلبة، وأنني أستطيع بذلك اختراق رعاياي، واحدًا بعد الآخر، حتى لو كان عددهم مليارًا، وأن أتحقق من حجم كل منهم والمسافات الفاصلة بينهم باستخدام حاسة اللمس، كم من الوقت والطاقة سيتبددان في هذه الطريقة الخرقاء التي تفتقر إلى الدقة! في حين تكفي الآن لحظة من الإنصات لأعرف بها التعداد والبيانات الإحصائية، المحلية والمادية والنفسية والروحية لكل الكائنات الحية في الأرض الخطية، أصغ! ليس عليك إلا أن تصغي!.»

وعند ذلك، صمت هنيهة وكأنما غمرته النشوة وهو يرهف السمع، ولكن الصوت لم يزد في مسامعي على زقزقة خافتة لعدد لا حصر له من الجنادب.

فأجبته: «الحق أن حاسة السمع لديك تنفعك نفعًا عظيمًا، وتعوض كثيرًا من جوانب النقص لديك، ولكن إذا أذنت لي في القول فإن حياتكم في الأرض الخطية مملة إلى حد الرثاء، ألا أرى شيئًا عدا نقطة! ألا يكون باستطاعتي حتى أن أرى خطًّا مستقيمًا! ليس ذلك فحسب، بل ألا أعرف ما هو الخط المستقيم! خير لي ألا أكون مبصرًا على الإطلاق من أن يكون كل ما أبصره قليلًا إلى هذا الحد. أعترف بأنني لا أمتلك قدرتكم على التمييز عن طريق السمع، ولا أرى في الحفل الكبير الذي يضم أهل الأرض الخطية جميعًا — والذي تستمتعون به أيما استمتاع — غير زقزقة أو تغريد جماعي، ولكنني على الأقل أستطيع أن أميز باستخدام البصر بين الخط والنقطة، ودعني أبرهن لك على ذلك، فقبل أن أدخل إلى مملكتك مباشرة، رأيتك تتحرك حركة إيقاعية من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار، وكان بجوارك جهة اليسار سبعة رجال وامرأة، وجهة اليمين ثمانية رجال وامرأتان، أليس هذا صحيحًا؟»

قال الملك: «بلى، إن ما تقوله صحيح فيما يتعلق بالنوع والعدد، ولكنني لا أدري ما تعنيه باليمين واليسار، ولا أصدق أنك رأيت هذه الأشياء، إذ كيف تستطيع أن ترى خط — أي جذع — أي رجل؟ فلا بد أنك أدركت هذه الأشياء بسمعك ثم حلمت بأنك رأيتها، ثم دعني أسألك عما تقصده بهذه الكلمات **اليمين** و**اليسار**، وأحسب أنك تقصد بهما جهتي الشمال والجنوب»

فأجبته: «ليس هذا ما أقصده، فإلى جانب حركتكم جهتي الشمال والجنوب، هناك حركة أخرى أسميها من اليمين إلى اليسار.»

الملك: أرني من فضلك هذه الحركة من اليسار إلى اليمين.

أنا: لا أستطيع أن أفعل ذلك، إلا إذا استطعت أنت أن تخرج تمامًا من خطك.

الملك: أأخرج من خطي؟ أتعني خارج العالم؟ خارج الكون؟

أنا: أجل، خارج عالمك، خارج كونك، لأن كونك ليس الكون الحقيقي، الكون الحقيقي على شكل مستوى، ولكن كونك ليس إلا خطًّا.

الملك: إذا لم يكن بمقدورك أن توضح لي هذه الحركة من اليسار إلى اليمين بأن تقوم بها بنفسك، فأرجوك أن تصفها لي بالكلمات.

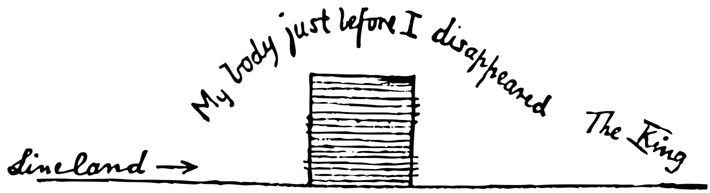
أنا: إذا كنت لا تستطيع أن تميز اليمين من اليسار، فأخشى أن أي كلمات لن تكفي لتوضيح مقصدي، ولكنك لا يمكن أن تجهل أمرًا بسيطًا كهذا.

الملك: أنا لا أفهم شيئا مما تقول.

أنا: كيف أفسر لك الأمر؟ ألا يخطر ببالك في بعض الأحيان وأنت تتحرك في خط مستقيم أنك تستطيع أن تتحرك بطريقة أخرى؟ أن تدير عينك إلى الاتجاه الذي يواجهه جانبك الآن؟ أو بتعبير آخر، ألا تشعر قط — بدلًا من حركتك الدائمة في اتجاه أحد طرفيك — برغبة في الحركة باتجاه جانبك، إذا جاز التعبير؟

الملك: كلا، ثم ماذا تقصد؟ كيف يتقدم جذع الإنسانِ الإنسانَ في أي اتجاه؟ أو كيف يستطيع الإنسان أن يتحرك في اتجاه جذعه؟

أنا: إذا كنتُ لا أستطيع بالقول أن أفسر الأمر، فسأجرب الأفعال، وسأتحرك شيئًا فشيئًا خارج الأرض الخطية في الاتجاه الذي أرغب في أن أوضحه لك.



وبدأت عندئذ في تحريك جسدي خارج الأرض الخطية، وظل الملك يصيح: «أنا أراك، أراك ساكنًا، أنت لا تتحرك» وذلك لأن جزءًا من جسدي ظل في أرضه وفي مجال إبصاره، ولكنني عندما أخرجت جسدي بالكامل خارج خطه صرخ بأعلى صوته: «لقد اختفت، لقد ماتت»، فأجبته: «لم أمت، لقد خرجت فقط من الأرض الخطية، أي خارج الخط المستقيم الذي تدعوه الكون، وأنا الآن في الكون الحقيقي، حيث أستطيع أن أرى الأشياء على حقيقتها، وفي هذه اللحظة أستطيع أن أرى خطك، أو جانبك أو جذعك كما يحلو لك أن تسميه، وأستطيع أيضًا أن أرى الرجال والنساء إلى الشمال وإلى الجنوب منك، وسوف أحصي الآن عددهم، وأصف لك ترتيبهم، وأطوالهم، والمسافات الفاصلة بينهم.»

وعندما قمت بذلك آخر الأمر صرخت منتصرًا: «هل أقنعك ذلك أخيرًا؟»، ثم دخلت من جديد الأرض الخطية متخذًا نفس موقعي السابق.

ولكن الملك أجاب: «لو كنتَ رجلًا منطقيًّا — مع أنني أرتاب بعض الشيء في كونك رجلًا لأنك تمتلك فيما يبدو صوتًا واحدًا، ولكن لو كانت لديك ذرة من منطق، لاستمعت إلى صوت العقل، أنت تطلب مني أن أصدق أن هناك خطًّا آخر إلى جانب ذلك الذي أدركه بحواسي، وأن هناك نوعًا آخر من الحركة غير تلك التي أراها كل يوم، وأنا بدوري أطلب منك أن تصف بالكلمات أو تبين عن طريق الحركة ذلك الخط الآخر الذي تتحدث عنه، ولكنك بدلًا من أن تتحرك تمارس نوعًا من الحيل السحرية للاختفاء ومعاودة الظهور مرة أخرى، وبدلًا من أن تقدم لي صورة واضحة لعالمك الجديد، تخبرني فقط بأعداد وأطوال نحو أربعين من حاشيتي، وهي حقائق يعرفها أي طفل في عاصمتنا، هل هناك ما هو أكثر جنونًا أو وقاحة من ذلك؟ اعترف بحماقتك أو ارحل عن أرضي.»

أحنقني عناده، وأثار غضبي مجاهرته بأنه يجهل نوعي، فأفلت مني زمام الكلمات، وصحت قائلًا: «أيها المخلوق مختل العقل! أنت تظن نفسك نموذج الكمال في الكون، ولكنك في حقيقية الأمر أكثر المخلوقات نقصًا وخبالًا، وتزعم أنك قادر على الإبصار، والحقيقة أنك لا تبصر شيئًا عدا نقطة، وتتباهي بقدرتك على أن تستدل على وجود الخط المستقيم ولكنني أستطيع رؤية الخطوط المستقيمة، وأستدل على وجود الزوايا والمثلثات والمربعات والمخمسات والمسدسات وحتى الدوائر. وما حاجتي إلى مزيد من الكلمات؟ يكفيني أنني النموذج الكامل لكيانك الناقص، أنت مجرد خط، وأنا اتحاد عدد من الخطوط يسمونها في بلادي مربعًا، ومع أنني أتفوق عليك تفوقًا لا حد له، فإنني لا أحتل مكانة عالية بين كبار النبلاء في الأرض المسطحة، الأرض التي أتيت منها لزيارتكم، مؤملًا أن أمحو ظلام جهلكم.»

وعندما سمع الملك هذه الكلمات تقدم نحوي بصيحة متوعدة كما لو كان يتهيأ لقتلي، وفي نفس الوقت اتحدت أصوات أعداد هائلة من رعاياه في صيحة حرب واحدة، وما زالت تتعالى صيحتهم حتى ظننت أنها فاقت آخر الأمر صيحة جيش قوامه مائة ألف من المثلثات متساوية الساقين، وهدير مدفعية ألف من المخمسات، وقفت في مكاني مشدوهًا بلا حراك، ولم أستطع أن أتكلم أو أتحرك لأتفادى الهلاك الوشيك، وما زالت الضوضاء تزداد صخبًا، ودنا مني الملك، ثم أعادني جرس الإفطار إلى الواقع في الأرض المسطحة فأفقت من نومي.

الفصل الخامس عشر

زائر من سبيسلاند

ومن الأحلام أعود إلى الحقائق.

كان ذلك في اليوم الأخير من عام ١٩٩٩ من زمننا، وكان نظام سقوط الأمطار قد آذن منذ وقت طويل بحلول الليل، وكنت جالسًا[1] بصحبة زوجتي، نتذاكر أحداث السنة الماضية ونستشرف آفاق السنة المقبلة، والقرن المقبل، والألفية المقبلة.

وكان أبنائي الأربعة وحفيداي اليتيمان قد أخلدوا إلى النوم في حجراتهم، ولم يبق معي إلا زوجتي لنكون معًا في وداع الألفية الحالية، ولنحتفل بقدوم الألفية الجديدة.

كنت مستغرقًا في التفكير، أدير في ذهني كلمات كان أصغر حفيديَّ قد نطق بها بطريقة عفوية، وهو مسدس واعد صغير السن ذو ذكاء نادر وزوايا تامة الانتظام، وكنت أشترك مع أعمامه في إعطائه الدرس العملي المعتاد في التعرف عن طريق البصر، وكنا ندور حول أنفسنا بسرعة كبيرة تارة ثم ببطء تارة أخرى، ونسأله عن مواقعنا، وأسعدتني إجاباته جدًّا حتى إنني قررت أن أكافئه بإعطائه بضع أفكار في علم الحساب، وتطبيقاتها في علم الهندسة.

---

[1] عندما أستخدم لفظ «الجلوس» لا أعني بالطبع أي تغيير في الوضع الجسماني كالذي تقصدونه بهذه الكلمة في سبيسلاند، فليست لنا أقدام، ومن ثم ليست لنا القدرة على «الوقوف» و«الجلوس» (بمعنى هذه الكلمات عندكم) شأننا في ذلك شأن الأسماك عندكم.

غير أننا نفرِّق تمامًا بين الحالات الذهنية المميزة للرقود والجلوس والوقوف، ويراها الناظر على هيئة زيادة طفيفة في البريق تشير إلى زيادة في الإرادة.

ولكن يمنعني الوقت من الاسترسال في الحديث عن هذا الموضوع وغيره من الموضوعات المشابهة.

أخذْتُ تسعة مربعات يبلغ طول ضلع كل منها بوصة واحدة، ثم وضعتها جوار بعضها البعض لأجعل منها مربعًا واحدًا كبيرًا طول ضلعه ثلاث بوصات، ومن ثَمّ برهنت لحفيدي حديث السن على أننا نستطيع عن طريق تربيع عدد البوصات في أحد أضلاع المربع (رفع طول الضلع إلى الأس ٢) أن نحسب عدد البوصات المربعة في المربع ببساطة مع أننا لا نستطيع أن نرى داخله، فقلت: «وهكذا نعرف أن عدد البوصات المربعة في مربع طول ضلعه ثلاث بوصات هو $٣^{٢}$، أو ٩.»

أخذ المسدس الصغير في التأمل برهة، ثم قال: «ولكنك علمتني كذلك أن أرفع الأرقام إلى أس ثلاثة، وأظن أن $٣^{٣}$ لا بد أن تعني شيئًا في علم الهندسة، فماذا تعني؟» فأجبته: «لا شيء على الإطلاق، على الأقل ليس في علم الهندسة، لأن لعلم الهندسة بعدين اثنين فقط»، ثم بدأت أشرح للصبي كيف تصنع النقطة خطًّا مستقيمًا طوله ثلاث بوصات لو تحركت لمسافة مقدارها ثلاث بوصات، وهو ما نعبر عنه بالرقم ٣، وكيف يصنع الخط المستقيم مربعًا طول ضلعه ثلاث بوصات لو تحرك موازيًا لنفسه مسافة مقدارها ثلاث بوصات، وهو ما نعبر عنه بـ $٣^{٢}$.

وعند ذلك عاد حفيدي إلى فكرته السابقة، فباغتني صائحًا: «حسنًا إذن، لو أن النقطة عندما تتحرك مسافة مقدارها ثلاث بوصات تصنع خطًّا طوله ثلاث بوصات، ونعبر عنه بالرقم ٣، ولو أن الخط المستقيم الذي يبلغ طوله ثلاث بوصات عندما يتحرك موازيًا لنفسه يصنع مربعًا طول ضلعه ثلاث بوصات، ونعبر عنه بـ $٣^{٢}$، فلا بد أن المربع الذي يبلغ طول ضلعه ثلاث بوصات إذا تحرك موازيًا لنفسه بطريقة أو بأخرى (ولكنني لا أدري كيف يكون ذلك) لصنع شيئًا آخر (ولكنني لا أدري ما هو) يبلغ طول جميع أضلاعه ثلاث بوصات، ولا بد أن نعبر عنه بـ $٣^{٣}$.

فقلت وقد ضايقتني مقاطعته بعض الشيء: «اذهب للنوم، لو أقللت من التكلم بالترّهات، لوعى عقلك مزيدًا من المنطق السليم.»

وهكذا توارى حفيدي خجلًا، وجلست هناك إلى جوار زوجتي، محاولًا أن أستعيد أحداث عام ١٩٩٩ وأن أفكر فيما يحمله عام ٢٠٠٠ من احتمالات، ولكنني لم أستطع أن أتخلص بالكامل من الأفكار التي أثارتها ثرثرة المسدس الصغير متوقد الذكاء، ولم يكن باقيًا إلا بضع ذرات من الرمال في الساعة الرملية، وانتبهت من هذه الأفكار فقلبت الساعة الرملية جهة الشمال للمرة الأخيرة في الألفية الحالية، وقلت بصوت عال «إن الصبي أحمق.»

وشعرت في الحال بوجود شخص في الغرفة، وسرت في جو الغرفة نسمة باردة، صاحت زوجتي: «ليس الصبي أحمق، وإنك تخالف الوصايا بإهانة حفيدك على هذا النحو»، ولكنني لم ألق لها بالًا، ونظرت حولي في كل اتجاه ولكنني لم أر شيئًا، وكنت مع ذلك أحس بوجود هذا الشخص، وارتعدت إذ شعرت بتلك النسمة الباردة مرة ثانية، فوثبت من مقعدي. سألَتْ زوجتي: «ماذا دهاك؟ ليس هناك تيار هواء، عماذا تبحث؟ لا شيء هناك.» حقًّا لم يكن هناك شيء، وعدت إلى مقعدي، وكررت ما قلته من قبل: «هذا الصبي أحمق، إن مكعب الرقم ثلاثة لا يمكن التعبير عنه هندسيًّا»، وعلى الفور سمعت صوتًا يقول: «ليس الصبي أحمق، ومكعب الرقم ثلاثة له مغزى هندسي واضح.»

سمعت أنا وزوجتي هذه الكلمات، مع أنها لم تدرك لها معنى، ووثب كلانا باتجاه الصوت، وفزعنا فزعًا شديدًا إذ أبصرنا أمامنا جسدًا! وبدا للوهلة الأولى أنه جسد امرأة تواجهنا بجانبها، ولكنني عندما أمعنت النظر ظهر لي أن الطرفين يخفت ضوؤهما بسرعة أكبر من أن يكونا طرفا امرأة، وكدت أجزم بأنها دائرة لو لم يكن حجمها يتغير بطريقة تستحيل على الدوائر أو غيرها من الأشكال المنتظمة التي لقيتها في حياتي.

لكن زوجتي لم يكن لديها ما لدي من الخبرة ورباطة الجأش لتنتبه لهذه الصفات، وبالطيش والغيرة العمياء المميزين للنساء وثبت على الفور إلى استنتاج أن امرأة دخلت البيت عبر فتحة صغيرة، وصاحت: «من أين دخلت هذه المرأة هنا؟ لقد وعدتني ألا يكون في بيتنا الجديد فتحات للتهوية»، فأجبتها: «وليس فيه بالفعل أي فتحات للتهوية، ولكن ما الذي جعلك تظنين أن هذا الغريب امرأة؟ فأنا أري بقدرتي على التعرف البصري …»، فقاطعتني زوجتي قائلة: «أنا لا أملك البال الرائق للتعرف البصري، «اللمس هو خير برهان»، و«إن خطًّا مستقيمًا تلمسه بنفسك خير من دائرة لا تراها إلا بعينك»»، وهما من الأمثال الشائعة بين النساء في الأرض المسطحة.

أجبتها وأنا أخشى أن أثير غضبها: «حسنًا، لو لم يكن هناك مفر من ذلك، فعليك أن تطلبي التعرف إليها»، فتقدمت زوجتي باتجاه المرأة الغريبة قائلة بصوت غاية في الرقة: «ائذني لي يا سيدتي أن أتعرف إليك وأن تتعرفي إلي باللمس …»، ولكنها تراجعت فجأة وصاحت: «إنها ليست امرأة، وليس هناك أثر لزاوية واحدة، هل يمكن أن أكون قد أسأت الأدب إلى هذا الحد مع واحد من الكهنة ذوي المنزلة الرفيعة؟»

أجاب الصوت: «أنا بالفعل دائرة نوعًا ما، وأكثر اكتمالًا من أي دائرة في الأرض المسطحة، ولكنني — بتعبير أكثر دقة — اتحاد كثير من الدوائر في كيان واحد»، ثم

أضاف بنبرة هادئة: «إنني يا سيدتي أحمل لزوجك رسالة يجب ألا أسلمها إليه في حضورك، فإذا أذنت لنا أن ننتحي جانبًا بضع دقائق ...»، ولكن زوجتي ما كانت لتنصت لهذا العرض الذي يسبب إزعاجًا لزائرنا المهيب، وأكدت للكاهن أن موعد نومها قد مر منذ وقت طويل، وأعادت الاعتذار مرات كثيرة عما ارتكبته من حماقة، ثم أوت في النهاية إلى غرفتها.

ألقيت نظرة سريعة على الساعة الرملية، كانت ذرات الرمل الأخيرة قد تساقطت، وبدأت الألفية الثالثة.

الفصل السادس عشر

كيف حاول الغريب عبثًا أن يكشف لي بالكلمات أسرار سبيسلاند

وما إن تلاشى صوت صيحة السلام لزوجتي بعد أن غادرتْ الغرفة حتى بدأت أدنو من الغريب لألقي عليه نظرة عن كثب وأدعوه إلى الجلوس، ولكن مظهره أذهلني فوقفت مكاني بلا حراك ولم أنبس بكلمة. لم تكن تبدو عليه ملامح لأي زوايا، ومع ذلك كانت مساحته ودرجة بريقه يتغيران كل لحظة على نحو لم أره من قبل في أي مضلع من المضلعات التي قابلتها في حياتي، وخطر لي أنني ربما أكون قد لقيت لصًا أو قاتلًا، أحد المشوهين من المثلثات متساوية الساقين، الذي اصطنع صوت أحد الكهنة، ونجح بطريقة ما في دخول البيت، وكان في تلك اللحظة يستعد لطعني بزاويته الحادة.

كان من الصعب أن أعتمد على التعرف البصري نظرًا لغياب الضباب في غرفة الضيوف والجفاف الملحوظ الذي تميز به ذلك الفصل، خصوصًا أنني كنت أقف على مقربة. وإذ أفقدني الخوف صوابي، اندفعت إلى الأمام قائلًا بطريقة تفتقر إلى اللياقة: «أرجو أن تأذن لي يا سيدي ...» وتحسسته، كانت زوجتي محقة، لم يكن هناك أثر لزاوية واحدة، لا أثر لخشونة أو تفاوت، لم ألق طيلة حياتي دائرة تفوق هذه الدائرة اكتمالًا. ظل الغريب ساكنًا وأنا أتحرك من حوله، أبدأ من عينه ثم أعود إليها مرة ثانية، كانت بنيته تامة الاستدارة ولم يكن هناك مجال للشك في ذلك، ثم دار بيننا حوار سأحاول أن أسجله كما أتذكره، ولن أسقط منه إلا بعضًا من اعتذاراتي الكثيرة، فقد كان يغمرني الخزي والخجل لأنني ارتكبت إساءة اللمس بحق واحد من طبقة الدوائر. بدأ الغريب هذا الحوار وقد بدا عليه شيء من التبرم من طول عملية التعارف.

الغريب: هل تحسستني الآن بما يكفي؟ ألم تتعرفني بعد؟

أنا: سيدي صاحب الفخامة، أعتذر لارتباكي الناشئ لا عن جهل مني بأخلاقيات المجتمع الراقي، ولكن بسبب المفاجأة والاضطراب، اللذيْن تسببت بهما هذه الزيارة غير المتوقعة، وأرجو منك ألا تفشي حماقتي لأحد، وخصوصًا زوجتي. ولكن قبل أن نتبادل مزيدًا من الحوار، هلا تكرمت بإخباري من أين أتيت يا سيدي؟

الغريب: من الفضاء يا سيدي، من الفضاء، وإلا فمن أين؟

أنا: أستميحك عذرًا يا سيدي، ولكن ألسنا بالفعل في الفضاء، أنت وخادمك المتواضع، حتى في هذه اللحظة؟

الغريب: وما الذي تعرفه أنت عن الفضاء؟ عرِّف الفضاء.

أنا: الفضاء يا سيدي هو الارتفاع والعرض الممتدان إلى ما لا نهاية.

الغريب: هذا ما قصدتُه تمامًا، أرأيتَ أنك لا تعرف حتى ما هو الفضاء؟ أنت تحسبه ذا بعدين اثنين فقط، ولكنني أتيت لأعلن لك أن هناك بعدًا ثالثًا ... الارتفاع والطول والعرض.

أنا: إنك يا سيدي تميل إلى المرح. نحن أيضًا نتحدث عن الطول والارتفاع، أو العرض والسمك، وهكذا نستخدم أربعة أسماء للتعبير عن بعدين اثنين.

الغريب: ولكن ما أقصده ليس ثلاثة أسماء فحسب، بل ثلاثة أبعاد.

أنا: هل تتفضل بأن توضح أو تشرح لي في أي اتجاه يقع هذا البعد الثالث الذي أجهله؟

الغريب: لقد أتيتُ منه، إنه يمتد لأعلى ولأسفل.

أنا: لا بد أن سيدي يقصد جهتي الشمال والجنوب.

الغريب: لا أقصد شيئًا من ذلك، وإنما أقصد اتجاهًا لا تستطيع أن تنظر فيه لأنك لا تملك عينًا في جانبك.

أنا: معذرة يا سيدي، ولكنك لو أمعنت النظر لحظة لوجدت أن لي عينًا مبصرة تمامًا عند نقطة اتصال جنبيَّ.

الغريب: أجل، ولكنك كي ترى الفضاء يجب أن تكون لك عين لا تقع على محيط جسدك، وإنما على جانبك، أو ما تسميه على الأرجح أحشاءك، ولكننا نسميه في سبيسلاند جانبك.

أنا: عين في أحشائي! عين في معدتي! لا بد أنك تمزح يا سيدي.

الغريب: لست في مزاج يسمح بالمزاح، أقول لك إنني أتيت من الفضاء، ولكن بما أنك لا تفهم معنى كلمة الفضاء، أقول إنني أتيت من أرض ثلاثية الأبعاد، ولم ألق نظرة

على المستوى الذي تدعونه الفضاء إلا حديثًا، فرأيت من موقع علوي كل ما تصفونه بأنه مجسم (وتعنون بذلك «محاط من الجهات الأربع»)، كما رأيت مساكنكم وكنائسكم، والصناديق وخزانات الثياب، بل رأيت أحشاءكم ومعداتكم، كلها مكشوفة وواضحة أمام عيني.

أنا: ما أيسر الأقوال يا سيدي.

الغريب: وما أصعب البرهنة عليها، أليس هذا ما ترمي إليه؟ ولكنني أنوي أن أثبت أقوالي.

عندما هبطت إلى هنا رأيت أبناءك الأربعة المخمسات، كلٌّ في غرفته، وحفيديك المسدسين، رأيت حفيدك الأصغر يجلس إليك برهة ثم يأوي إلى غرفته تاركًا زوجتك وإياك وحدكما، رأيت خَدَمك الثلاثة من المثلثات متساوية الساقين في مطبخ البيت وقت العشاء، ورأيت الخادم الصغير في حجرة غسل الأطباق، ثم أتيت إلى هنا، كيف تظن أنني أتيت؟

أنا: أعتقد أنك أتيت عبر السقف.

الغريب: ليس كذلك، فأنت تعرف جيدًا أن سقف بيتك قد أُصلح حديثًا، وليس به منفذ يتسع لمرور امرأة، أؤكد لك أنني أتيت من الفضاء، ألم يقنعك ما أخبرتك به عن أبنائك وأهل بيتك؟

أنا: لا بد أنك تعلم يا سيدي أن هذه المعلومات المتعلقة بأسرة خادمك المتواضع يمكن التحقق منها بسهولة من أحد الجيران، لاسيما أنك تمتلك وسائل كثيرة للحصول على المعلومات.

الغريب: (يقول محدثًا نفسه) ماذا أفعل؟ انتظر، لقد خطرت لي فكرة أخرى، عندما ترى خطًّا مستقيمًا — زوجتك على سبيل المثال — فكم بعدًا ترى لها؟

أنا: أنت يا سيدي تحسبني واحدًا من العامة الذين يعتقدون أن المرأة حقًّا خط مستقيم، وأنها ذات بعد واحد، جهلًا منهم بعلم الرياضيات، كلا يا سيدي، نحن المربعات أكثر من ذلك علمًا، ونعلم — كما تعلم أنت — أن المرأة في الواقع ومن الناحية العلمية متوازي أضلاع رفيع جدًّا ذو بعدين، مع أنهم يدعونها خطًّا مستقيمًا، أي أن لها — مثلما لنا جميعًا — طولًا وعرضًا (أو سُمكًا).

الغريب: ولكن ما دمت تستطيع رؤية الخط المستقيم فلا بد أن له بعدًا آخر.

أنا: سيدي، لقد أقررتُ للتو أن للمرأة طولًا وعرضًا، ونحن نرى طولها ونستنتج عرضها، الذي يمكن قياسه على ضآلته.

الغريب: أنت لا تفهمني، ما أقصده هو أنك عندما ترى امرأة، يجب عليك بالإضافة إلى استنتاج عرضها أن ترى طولها، وأن ترى ما نسميه ارتفاعها، مع أن هذا البعد الأخير متناهي الصغر في بلادكم، لو كان الخط طولًا فقط دون ارتفاع، فلن يحتل فراغًا ولن يكون مرئيًا، لا بد أنك تدرك ذلك.

أنا: لا بد أن أعترف بأنني لا أفقه شيئًا مما تقول يا سيدي، فنحن عندما نرى خطًّا في الأرض المسطحة نرى طولًا وبريقًا، ولو اختفى هذا البريق لانطفأ نور الخط، وما عاد يحتل فراغًا، ولكن هل أفهم من ذلك أنك تطلق على البريق لفظ البُعد، وأن ما ندعوه بريقًا تسمونه أنتم ارتفاعًا؟

الغريب: لا، فأنا أعني بالارتفاع بعدًا مثل الطول عندكم، ولكنكم لا تستطيعون إدراك الارتفاع بسهولة لأنه متناهي الصغر.

أنا: سيدي، إننا نستطيع بسهولة أن نختبر صحة ما تذهب إليه، أنت تقول إن لي بعدًا ثالثًا تدعوه «الارتفاع»، والبعد يتضمن اتجاهًا وقياسًا، فليس عليك إلا أن تقيس ارتفاعي، أو أن توضح لي الاتجاه الذي يمتد فيه «ارتفاعي»، وسوف أقتنع بما تقول، وإلا فعليك يا سيدي أن تعفيني من هذا الأمر.

الغريب: (يقول محدثًا نفسه) لا أستطيع أن أفعل أيًّا منهما، كيف أستطيع أن أقنعه؟ لا بد أن عرضًا للمعلومات يتبعه مشاهدة بصرية سيكون كافيًا، استمع إليّ الآن.

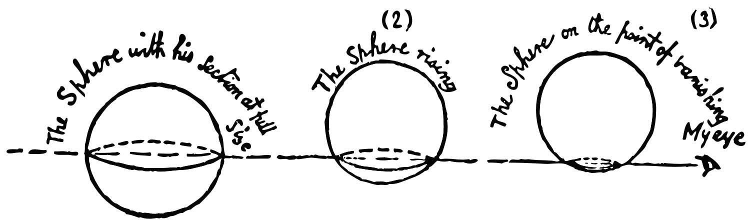
أنتم تعيشون على مستوى، إن ما تدعونه الأرض المسطحة ليس إلا سطحًا شاسعًا مستويًا لما أسميه سائلًا، وأنت وأهل بلادك تتحركون على الطبقة العليا من هذا السطح أو داخلها، دون أن تكون لكم القدرة على الارتفاع فوقها أو الهبوط أسفل منها.

وأنا لست شكلًا مسطحًا وإنما مجسم، أنت تدعوني دائرة ولكنني لست في حقيقة الأمر دائرة، وإنما عدد لانهائي من الدوائر، تتراوح في مساحاتها بين نقطة ودائرة قطرها ثلاث عشرة بوصة، وكل من هذه الدوائر فوق الأخرى، وعندما أقطع المستوى الذي تعيشون عليه كما أفعل الآن أُحدث فيه قطاعًا ترونه أنتم دائرة، وهذا صحيح تمامًا، لأن الكرة — وهو الاسم الذي يطلقونه عليَّ في بلادي — عندما يظهر لواحد من سكان الأرض المسطحة فلن يراه إلا دائرة.

أنا الذي أرى كل شيء رأيتُ بالأمس رؤياك الخيالية للأرض الخطية مدونة على عقلك. ألا تتذكر أنك قد اضطررت عندما دخلت مملكة الأرض الخطية أن تظهر للملك في هيئة خط مستقيم وليس في هيئة مربع؟ لأن الأرض الخطية ليست بها أبعاد تكفي

لإظهار هيئتك بالكامل فلم يبد منك إلا جزء أو قطاع، وبنفس الطريقة تمامًا فإن بلادك ذات البعدين لا تتسع بما يكفي لتظهرني بالكامل، لأنني.كائن ذو ثلاثة أبعاد، فلن يظهر مني إلا جزء أو قطاع، وهو ما تسميه دائرة.

إن تناقص البريق في عينك يعبر عن الشك، ولكن تهيأ الآن لاستقبال الدليل الدامغ على صحة ما أقول. إنك لا تستطيع أن ترى إلا واحدًا من قطاعاتي — أو دوائري — في كل مرة، لأنك لا تستطيع أن ترفع عينك فوق مستوى الأرض المسطحة، ولكنك تستطيع على الأقل أن ترى أنني عندما أصعد في الفضاء، تقل مساحة قطاعاتي. انظر الآن، سوف أرتفع بجسدي، وسترى أن دائرتي ستأخذ في الصغر. حتى تصل إلى نقطة، ثم تختفي تمامًا في النهاية.



لم أستطع أن أرى صعودًا، ولكنه أخذ يتضاءل في المساحة شيئًا فشيئًا حتى اختفى في النهاية، أغمضت عيني وفتحتها مرة أو مرتين لأتأكد من أنني لا أحلم، ولكن لم يكن ذلك حلمًا، لأنني سمعت صوتًا مكتومًا لا يأتي من اتجاه محدد، سمعته قريبًا من قلبي يقول: «هل اختفيتُ بالكامل؟ هل اقتنعتَ الآن؟ سوف أعود الآن إلى الأرض المسطحة تدريجيًّا، وسترى أن دائرتي تزداد اتساعًا تدريجيًا.»

سيدرك جميع القراء في سبيسلاند بسهولة أن ضيفي الغامض كان يتحدث بصدق وبساطة، ولكن لم يكن ما قاله أمرًا بسيطًا على الإطلاق بالنسبة لي مع أنني خبير بعلم الرياضيات في الأرض المسطحة، وسيوضح الشكل التقريبي السابق لكل طفل في سبيسلاند أن الكرة في صعودها إلى المواضع الثلاث الموضحة لا بد أن تظهر لي — أو لأي من سكان الأرض المسطحة — في هيئة دائرة، وأنها ستكون تامة المساحة أول الأمر، ثم تقل مساحتها، ثم لا تكاد تزيد آخر الأمر عن نقطة، ولكنني لم أدرك لذلك سببًا مع أنني رأيت الحقائق بعيني، وكل ما استطعت أن أفهمه هو أن هذا الكائن الدائري قد انكمش ثم اختفى، ثم عاود الظهور وأخذ في زيادة مساحته بسرعة.

وعندما عاد إلى حجمه الطبيعي أطلق تنهيدة عميقة لأنه عرف من صمتي أنني عجزت تمامًا عن فهمه، والحق أنني كنت الآن أقرب إلى الاعتقاد بأنه ليس دائرة على الإطلاق، وإنما مشعوذ على درجة عالية من البراعة، أو لعل حكايات العجائز القديمة عن السحرة لم تكن كلها خيالًا.

لبث صامتًا برهة ثم تمتم: «لم تبق إلا وسيلة واحدة قبل أن ألجأ إلى الفعل، عليّ أن أجرب طريقة القياس»، ثم صمت طويلًا مرة ثانية قبل أن يستأنف الحوار.

الكرة: أخبرني يا عالم الرياضيات، لو أن نقطة تحركت نحو الشمال وتركت خلفها أثرًا مضيئًا، فبماذا تسمي هذا الأثر؟

أنا: خطًّا مستقيمًا.

الكرة: وكم طرفًا للخط المستقيم؟

أنا: اثنان.

الكرة: والآن تصور أن هذا الخط المستقيم المتجه نحو الشمال تحرك موازيًا لنفسه، جهتي الشرق والغرب، بحيث تترك كل نقطة عليه خلفها خطًّا مستقيمًا، فبماذا تسمي الشكل الهندسي الناتج عن ذلك؟ وبفرض أن هذه النقاط تحركت لمسافة تساوي طول الخط المستقيم الأصلي، فماذا يكون اسم الشكل الناتج؟

أنا: مربع.

الكرة: وكم ضلعًا للمربع؟ وكم زاوية؟

أنا: أربعة أضلاع وأربع زوايا.

الكرة: والآن أطلق لخيالك العنان بعض الشيء وتصور مربعًا في الأرض المسطحة يتحرك لأعلى موازيًا لنفسه.

أنا: ماذا؟ نحو الشمال؟

الكرة: لا، ليس نحو الشمال، بل لأعلى، خارج الأرض المسطحة تمامًا.

لو أنه تحرك نحو الشمال، فإن النقاط الجنوبية في المربع سوف تتحرك إلى المواقع التي كانت تحتلها النقاط الشمالية، وليس هذا ما أقصده.

ما أقصده هو أن تتحرك كل نقطة في جسدك — فأنت مربع وتصلح مثالًا على ذلك — لأعلى في الفضاء بحيث لا تشغل أي نقطة الموقع الذي كانت تحتله أي نقطة أخرى، بل ترسم كل نقطة على حدة خطًّا مستقيمًا خاصًّا بها، ويتفق كل ذلك مع طريقة القياس، ومن المؤكد أنه واضح لك.

كنت الآن على وشك أن أثب على زائري وأقذف به إلى الفضاء، أو خارج الأرض المسطحة، أو إلى أي مكان يخلصني منه، ولكنني أجبته كاظمًا غيظي: «وما طبيعة هذا الشكل الذي سيتكون بهذه الحركة التي تصر على أن تشير إليها بكلمة ’لأعلى‘؟ أظن أنك تستطيع أن تستعمل لوصفها لغة الأرض المسطحة.»

الكرة: بلا شك، فهي غاية في الوضوح والبساطة، وتتفق تمامًا مع أسلوب القياس، غير أن عليك ألا تستخدم كلمة ’شكل هندسي‘ للإشارة إلى الشكل الناتج وإنما ’مجسم‘، وسأصفه لك، ليس أنا، وإنما أسلوب القياس.

لقد بدأنا بنقطة، ليس لها بطبيعة الحال إلا نقطة طرفية واحدة.

وتصنع النقطة الواحدة خطًّا مستقيمًا ذا نقطتين طرفيتين.

ويصنع الخط المستقيم مربعًا ذا أربع نقاط طرفية.

وبوسعك الآن أن تجيب على نفسك بنفسك، فمن الواضح أن الأرقام ١، ٢، ٤، تكوِّن متوالية هندسية، فما الرقم التالي؟

أنا: ثمانية.

الكرة: تمامًا، فالمربع الواحد يصنع شيئًا لا تعرفون اسمًا له بعد ولكننا نسميه مكعبًا، وله ثمان نقاط طرفية، هل اقتنعت الآن؟

أنا: وهل لهذا المخلوق أضلاع؟ إلى جانب الزوايا أو ما تسمونه «نقاطًا طرفية»؟

الكرة: بالتأكيد، ولكن ليس ما تدعونه أنتم أضلاعًا، ولكن ما ندعوه نحن أضلاعًا، فأنتم ستسمونها مجسمات.

أنا: وكم ضلعًا أو مجسمًا سيكون لهذا المخلوق الذي سأصنعه عندما أحرك جسدي «لأعلى»، والذي تسمونه مكعبًا؟

الكرة: كيف تسأل مثل هذا السؤال؟ ألستَ عالمًا في الرياضيات؟! إن ضلع أي شيء هو دائمًا — إذا جاز التعبير — أحد الأبعاد التي تحد هذا الشيء، وحيث إن النقطة لا تحدها أبعاد فهي بلا أضلاع، أما الخط المستقيم فله ضلعان (لأن طرفي الخط المستقيم قد يسميان من باب التيسير أضلاعًا)، وللمربع أربعة أضلاع؛ صفر، اثنان، أربعة؛ أي نوع هذا من المتواليات؟

أنا: متوالية حسابية.

الكرة: وما الرقم التالي؟

أنا: ستة.

الكرة: صحيح تمامًا، وبهذا تكون قد أجبت عن سؤالك بنفسك، وسيكون للمكعب الذي ستصنعه ستة جوانب، أي ستة مما تدعونه أحشاءكم. لقد فهمتَ الأمر كله الآن، أليس كذلك؟

فصرخت: «أيها المسخ، لن أتحمل مزيدًا من ترهاتك سواء كنت ساحرًا أو مشعوذًا أو حلمًا أو شيطانًا، فإن أحدنا سوف يموت»، ثم اندفعت نحوه.

الفصل السابع عشر

كيف لجأ الغريب إلى الأفعال بعد أن أعيته الكلمات

لم يُجْد ذلك نفعًا، فقد اندفعتُ نحو الغريب بأشد زواياي القائمة صلابة، واصطدمت به اصطدامًا عنيفًا، ضاغطًا بقوة تكفي لتدمير أي دائرة عادية، ولكنني شعرت به ينزلق ببطء مبتعدًا عني وعجزت عن إيقافه، لم يتحرك جهة اليمين ولا جهة اليسار، ولكنه بطريقة أو بأخرى تحرك خارج العالم، وتلاشى تمامًا، وظللت مع ذلك أسمع صوت هذا الدخيل.

الكرة: لماذا تأبى الإصغاء إلى صوت العقل؟ كنت أرجو أن أجد فيك — بوصفك واحدًا من أصحاب العقول وعالمًا بارعًا في الرياضيات — رسولًا يصلح للتبشير بعقيدة الأبعاد الثلاثة، التي لا يُسمح لي أن أبشر بها إلا مرة في كل ألف عام، ولكنني الآن لا أعرف كيف أقنعك. مهلًا، هناك وسيلة، لن يُظهر الحقَّ إلا الأفعالُ لا الكلمات، أنصت إليَّ يا صاحبي.

لقد أخبرتك أنني أستطيع أن أرى من موقعي في الفضاء بواطن جميع الأشياء التي ترونها مصمتة، فأنا أرى — على سبيل المثال — في تلك الخزانة التي تقف إلى جوارها عددًا مما تدعونه صناديق (ولكنها كغيرها من الأشياء في الأرض المسطحة ليست لها أسطح علوية أو سفلية)، وهذه الصناديق ملأى بالمال، وأرى سجلين لحسابات مصرفية، وسأهبط الآن إلى داخل هذه الخزانة وأحضر لك أحد هذين السجلين، لقد رأيتك منذ نصف ساعة تغلق الخزانة، وأعلم أن المفتاح بحوزتك، ولكنني أتيت من الفضاء، فالأبواب تظل بالنسبة لي ثابتة في أماكنها، وأنا الآن داخل خزانتك أتناول سجل الحسابات الخاص بك، والآن أصعد به.

هرعت إلى الخزانة وفتحت بابها بعنف، كان أحد السجلين قد اختفى، وبضحكة ساخرة ظهر الغريب في الركن الآخر من الغرفة، وفي نفس الوقت، ظهر السجل على أرضية الغرفة فالتقطته، لم يكن هناك أدنى شك في أنه السجل المفقود.

أصابني الرعب، وظننت أنني قد فقدت عقلي، ولكن الغريب واصل الكلام قائلًا: «عساك تكون قد عرفت الآن أنه لا تفسير لهذه الظواهر سوى ما قلت لك. إن ما تدعونه مجسمات ليس في حقيقة الأمر إلا أشياء مسطحة، وما تدعونه الفضاء ليس إلا مستوى شاسعًا. أنا أحيا في الفضاء، وأتطلع من أعلى إلى بواطن الأشياء التي لا ترون منها إلا حدودها الخارجية، وبوسعك أنت أيضًا أن تغادر هذا المستوى إذا استطعت فقط أن تستجمع إرادتك. إن حركة بسيطة لأعلى أو لأسفل سوف تجعلك ترى كل ما أراه.»

«كلما أخذتُ في الصعود لأعلى وابتعدتُ عن المستوى الذي تعيشون فيه، استطعتُ أن أرى أكثر، ولكنني بطبيعة الحال أرى الأشياء أصغر من حجمها الحقيقي، على سبيل المثال أنا الآن آخذٌ في الصعود، أرى جارك سداسي الأضلاع وعائلته في غرفهم المتعددة، وأرى — على بعد عشرة أبواب — المسرح والمتفرجين وقد خرجوا لتوهم، وأرى على الجانب الآخر أحد الكهنة في غرفة مكتبه يجلس إلى كتبه، والآن أعود إليك، ولكي أعطيك دليلًا دامغًا ما رأْيُك أن ألمسك لمسة طفيفة جدًّا في معدتك؟ إنها لن تسبب لك أذى بالغًا، والألم الطفيف الذي ستشعر به لا يضاهي ما سيعود عليك من نفع عقلي.»

وقبل أن أتفوه بكلمة احتجاج شعرت بألم حاد في أحشائي، وبدا كأن ضحكة شيطانية تنبعث من أعماقي، وبعد وقت قصير سكن الألم المبرح، ولم يخلف وراءه إلا وجعًا خفيفًا. عاود الغريب الظهور، وقال وحجمه آخذ في الازدياد: «ها قد عدت، أرجو ألا أكون قد آلمتك بشدة، إذا لم تكن قد اقتنعت حتى الآن فأنا لا أدري كيف أقنعك، فماذا ترى؟»

كنت قد اتخذت قراري، فأنا لن أتحمل البقاء تحت رحمة الزيارات العشوائية لهذا الساحر الذي يستطيع بحيله أن يتلاعب بمعدتي ذاتها، لو أنني كنت أستطيع أن أدفعه قبالة الجدار وأشل حركته حتى تأتي النجدة!

انقضضت عليه مرة ثانية لأطعنه بزاويتي ودوت في نفس الوقت صرخات استغاثتي لتمزق سكون البيت، وأظن أن الغريب قد هبط لحظة الهجوم عليه أسفل المستوى ثم واجه صعوبة حقيقية في معاودة الصعود، ولكنه على أي حال ظل بلا حراك في حين ضاعفتُ من شدة ضغطي عليه إذ خُيِّل لي أني سمعت صوت اقتراب أحدهم لنجدتي، وواصلت صرخات الاستغاثة.

سرت رجفة في جسد الغريب، وخيل إلى أني سمعته يقول: «هذا لن يكون، إما أن ينصت لصوت العقل أو يكون عليّ أن أستعين بآخر وسائل الحضارة»، ثم رفع صوته وهتف متعجلًا: «أنصت إلى، إن ما رأيته محرَّم على الغرباء، عليك في الحال أن تأمر زوجتك بالعودة من حيث أتت قبل أن تدخل هذه الغرفة، إن عقيدة الأبعاد الثلاثة لا تجوز مخالفتها على هذا النحو، ولا يجوز أن أضحي بثمرة ألف عام من الانتظار بهذه الطريقة، تراجع! تراجع! ابتعد عني وإلا كان عليك أن تذهب معي — من حيث لا تدري — إلى أرض الأبعاد الثلاثة!»

فصرخت: «أيها الأحمق المجنون! أيها المسخ! لن أطلق سراحك أبدًا، سوف تلقى جزاء خداعك.»

دوى صوت الغريب قائلًا: «هل وصل الأمر إلى هذا الحد؟ فلتلق إذن جزاء ما فعلت: سأنتزعك من عالمك. واحد، اثنان، ثلاثة! قضي الأمر!»

الفصل الثامن عشر

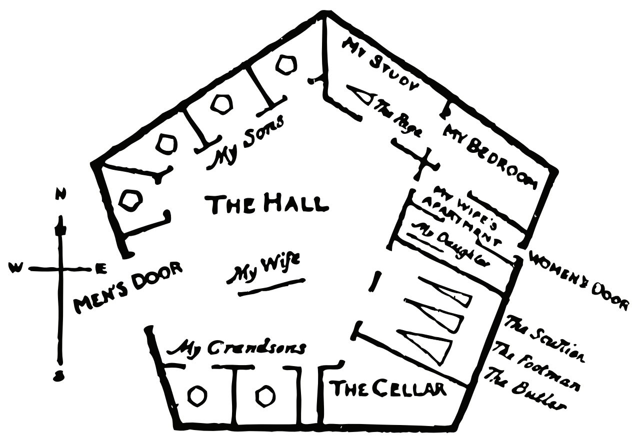
كيف وصلت إلى سبيسلاند وماذا رأيت هناك

تملكني رعب لا أستطيع أن أصفه بالكلمات، وساد ظلام، ثم أحسست بدوار وغثيان وبدأت أبصر، لكن لا كما اعتدت أن أبصر، ورأيت خطًّا لا يمت للخطوط بصلة، ورأيت فضاء لا يشبه الفضاء الذي أعرفه، حتى أنا لم أكن أنا. وعندما عاد إلي صوتي صرخت قائلًا: «إما أنني قد جننت أو أن هذا هو الجحيم»، فجاءني صوت الكرة وهو يقول بنبرة هادئة: «ليس جحيمًا ولا جنونًا، إنها المعرفة، إنها الأبعاد الثلاثة، افتح عينك مرة ثانية وحاول أن تنظر بثبات.»

نظرتُ، ورأيت عجبًا، رأيت عالمًا جديدًا، فقد تجسد أمامي كل ما حلمت به واستنتجته وخمنته من الكمال الدائري، وكان ما حسبته مركز جسد الغريب واضحًا أمام عيني، ولكنني مع ذلك لم أر قلبًا أو رئتين أو شرايين، وإنما شيئًا جميلًا متجانسًا لا أستطيع تصويره بالكلمات، ولكنكم — قرائي في سبيسلاند — تسمونه سطح الكرة.

وسجدت في عقلي أمام معلمي، وصحت: «أنت يا من جعله الخالق مثال الجمال والحكمة، كيف أرى باطنك دون أن أرى لك قلبًا أو رئتين أو شرايين أو كبدًا؟» فأجابني: «أنت لا ترى ما تحسب أنك تراه، فإنك لا تستطيع — ولا يستطيع أي كائن آخر — أن يرى أعضائي الداخلية، لأنني أنتمي إلى نوع من الكائنات يختلف عن سكان الأرض المسطحة، ولو كنتُ دائرة لاستطعتَ أن ترى أحشائي، ولكنني — كما أخبرتك من قبل — أتكون من عدد كبير من الدوائر، أي اتحاد الكثير في كيان واحد، وهو ما يسمونه هنا كرة، وكما أن الحدود الخارجية للمكعب تتخذ هيئة مربع، فالحدود الخارجية للكرة تتخذ هيئة دائرة.»

أذهلتني كلمات معلمي الغامضة، ولكنها لم تعد تثير ثائرتي، وتطلعت إليه في إعجاب صامت يرقى إلى التقديس، فاستأنف حديثه وقد اكتسب صوته مزيدًا من الهدوء قائلًا: «لا تنزعج إذا لم تستطع أول الأمر أن تفهم الأسرار الغامضة في سبيسلاند، فسوف تتكشف لك شيئًا فشيئًا، ولنبدأ بإلقاء نظرة على الأرض التي أتيتَ منها. لنعد معًا إلى سهول الأرض المسطحة بعض الوقت، وسأريك شيئًا طالما فكرتَ فيه وحَسَبتَه ولكنك لم تره بعينك قط، سأريك الزاوية»، فصحت: «مستحيل!»، ولكنه تقدمني فتبعته كأنني أحلم، حتى أوقفني صوته مرة أخرى وهو يقول: «انظر هناك، وتطلع بعينك إلى بيتك الخماسي، وجميع سكانه.»



نظرت لأسفل فرأيت بعيني تفاصيل المنازل التي كنت حتى ذلك الوقت لا أستطيع إلا أن أحدسها بعقلي، وكم كان الحدس مشوهًا وباهتًا إلى جانب الواقع الذي أراه الآن! كان أبنائي الأربعة نائمين في هدوء في الغرف الواقعة جهة الشمال الغربي، وحفيداي اليتيمان في الغرفتين الواقعتين جهة الجنوب، وكان الخدم وكبيرهم وابنتي نائمين في غرفهم المستقلة، ولم يبق مستيقظًا إلا زوجتي التي أرقها غيابي فغادرت حجرتها وأخذت تذرع الردهة جيئة وذهابًا وهي تترقب عودتي، والخادم أيضًا أيقظته صرخاتي فتوجه إلى غرفة مكتبي بحجة التحقق مما إذا كنت قد سقطت مغشيًّا علي هنا أو هناك وأخذ ينقب في خزانتي، استطعت حينئذ أن أرى كل ذلك رأي العين لا أن أحدسه فقط،

وعندما دنونا أكثر وأكثر استطعت أيضًا أن أرى محتويات خزانتي، كما رأيت صندوقَي الذهب والسجلين اللذين ذكرهما الكرة.

تحركت مشاعري إذ رأيت حزن زوجتي، وهممت بأن أقفز إلى أسفل لأطمئنها، ولكنني وجدت أنني عاجز عن الحركة، وقال لي معلمي: «لا تقلق بشأن زوجتك، فلن نتركها طويلًا نهبًا للقلق، وفي غضون ذلك سنلقي نظرة شاملة على الأرض المسطحة.»

أحسست من جديد بأنني أصعد في الفضاء، وكان الأمر كما قال الكرة من قبل، فكلما ابتعدنا عن الشيء الذي ننظر إليه، اتسع مجال الرؤية، كانت مدينتي كلها تمتد أمام ناظري منمنمة، وظهرت لي بواطن بيوتها وجميع ما بها من أحياء، واصلنا الصعود ويا للعجب! أفصحت لي الأرض عن أسرارها، وتجلت لي أعمق أعماق المناجم وأغوار الكهوف.

واستشعرت رهبة لمرأى أسرار الأرض ترفع عنها الحُجُب أمام عيني المتواضعة، فقلت لرفيقي: «انظر، لقد صرتُ كالآلهة، فالحكماء في بلادي يقولون إن رؤية كل شيء — أو الرؤية المطلقة كما يسمونها — صفة لا يتصف بها إلا الخالق وحده»، كست صوت معلمي مسحة من التهكم وأجاب: «أحقًّا ذلك؟ إذن فاللصوص والقتلة في بلادي آلهة جديرون أن يعبدهم حكماؤكم، لأن كلًّا منهم يرى ما تراه الآن، ولكن حكماءكم جانبهم الصواب، كن على يقين من ذلك.»

أنا: إذن هل يتصف بالرؤية المطلقة أحد غير الآلهة؟

الكرة: لا أدري، ولكن إذا كان اللص أو القاتل في بلادنا يستطيع أن يرى كل شيء في بلادكم، فمن المؤكد أن هذا ليس سببًا كافيًا يجعلكم ترضون به إلهًا. هل تجعلك هذه «الرؤية المطلقة» كما تسمونها — فليست من الكلمات الشائعة في سبيسلاند — أكثر عدلًا ورحمة؟ هل تملأ قلبك بالمحبة وتنزع منه الأنانية؟ كلا على الإطلاق، إذن كيف تجعلك أقرب إلى الألوهية؟

أنا: «أكثر رحمة، أكثر محبة!» أليست هذه من خصال النساء؟! ونحن نعلم أن الدوائر تحتل في سلم التطور مكانة أرقى من الخط المستقيم، مثلما تحتل المعرفة والحكمة مكانة أرقى من العاطفة المجردة.

الكرة: ليس لي أن أصنف الملكات الإنسانية أيها أرقى من غيرها، ولكن مكانة العاطفة عند كثير من أفضل حكمائنا في سبيسلاند تعلو على مكانة العقل، كما تعلو عندهم مكانة من تحقرون من النساء على مكانة كهنتكم أصحاب الجلالة، ولكن دعنا من ذلك الآن، انظر هناك، أتعرف ذلك البناء؟

نظرتُ ورأيتُ على مبعدة بناء هائلًا عديد الأضلاع عرفت أنه قاعة الاجتماعات العامة للدول في الأرض المسطحة، تحيط به خطوط كثيفة من المباني خماسية الأضلاع متعامدة بعضها على بعض، عرفت أنها طرق، وأدركت أنني أقترب من الحاضرة العظيمة.

قال معلمي: «فلنهبط هنا.» كان الصبح قد بزغ، وكنا في الساعة الأولى من اليوم الأول من عام ألفين من زماننا، ولم يَحِد كبار الكهنة في المملكة — كما هو دأبهم — عن نهج أسلافهم، فعقدوا اجتماعًا سريًّا مهيبًا، مثلما اجتمعوا في الساعة الأولى من اليوم الأول من عام ألف، ومثلما فعلوا في الساعة الأولى من اليوم الأول من عام صفر.

وكان شخص ما يقرأ الآن محاضر الاجتماعات السابقة، وعرفت على الفور أنه أخي، وهو مربع تام التماثل يعمل كبيرًا للكتبة في المجلس الأعلى، وكان مدونًا في هذه المحاضر في كل مرة ما يأتي: «لقد قام شرذمة من أصحاب النوايا الخبيثة بإثارة اضطرابات في بلادنا، وزعموا أنهم قد تلقوا وحيًا من عالم آخر، وأقدموا على تنظيم مظاهرات أدت بهم وبالآخرين إلى الخروج عن حدود العقل، ولما كان الأمر كذلك فقد قرر المجلس الأعلى بالإجماع أنه في اليوم الأول من كل ألفية توجه تعليمات خاصة إلى رؤساء أقسام الشرطة في جميع أنحاء الأرض المسطحة للقيام بالآتي: إجراء عمليات بحث دقيقة عن هؤلاء الغاوين، وإعدام من كان منهم من المثلثات متساوية الساقين من جميع الدرجات دون إجراء الفحص الرياضي، وجلد وسجن أي مثلث متساوي الأضلاع، وإرسال أي مربع أو مخمس إلى مستشفى الأمراض العقلية، واعتقال أي فرد ينتمي إلى بقية الطبقات الاجتماعية وإرساله مباشرة إلى العاصمة حتى يقوم المجلس بفحصه وإصدار حكم بشأنه.»

وبينما كان المجلس يصدر للمر ة الثالثة قراره الرسمي قال لي الكرة: «أنت الآن تسمع مصيرك، فلن ينتظر الرسول المبشر بعقيدة الأبعاد الثلاثة إلا الموت أو السجن» فأجبته: «لا، لقد اتضح الأمر لي الآن، وتجلت لي طبيعة الفضاء الحقيقي، وأحسب أنني أستطيع شرحها لطفل صغير، ائذن لي أن أهبط إليهم الآن وأنير عقولهم» قال الكرة: «ليس بعد، سيحين الوقت المناسب لذلك، والآن عليّ أن أقوم بمهمتي، انتظر في مكانك» ثم قفز ببراعة كبيرة في بحر الأرض المسطحة (إذا جاز لي أن أسميه بهذا الاسم)، وهبط في منتصف حلقة المجتمعين من أعضاء المجلس، وصاح: «لقد أتيت لأعلن لكم أن هناك أرضًا ذات أبعاد ثلاثة.»

رأيت كثيرًا من الشباب من أعضاء المجلس يتراجعون، وقد ظهر عليهم الهلع، عندما ظهر أمامهم القطاع الدائري للكرة وأخذ في الاتساع، ولكن الكاهن الأكبر لم تبد عليه أي

أمارة من أمارات الدهشة أو القلق، وإثر إشارة منه تحرك ستة من المثلثات متساوية الساقين من ست جهات مختلفة وانقضوا على الكرة، وصاحوا: «لقد تمكنا منه، كلا، أجل، لم يزل تحت السيطرة! إنه يفلت! لقد أفلت!»

وتوجه الرئيس بالخطاب إلى حديثي العهد من الكهنة في المجلس وقال: «ليس هناك ما يدعو للدهشة، فإن السجلات السرية — التي لا يطلع عليها أحد سواي — تخبرني أن حدثًا مشابهًا قد وقع في بدايتي الألفيتين الماضيتين، وأنتم بالطبع لن تتحدثوا عن هذه الترهات خارج المجلس.»

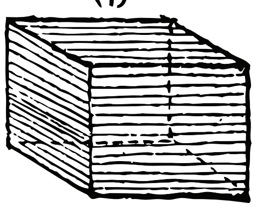
ثم رفع صوته واستدعى الحراس وقال: «ألقوا القبض على رجال الشرطة، وكمموا أفواههم، أنتم تعرفون ما عليكم أن تقوموا به.» وهكذا أرسل رجال الشرطة التعساء ليلقوا مصيرهم بعد أن جعلهم سوء طالعهم رغمًا عنهم شهودًا على سر من أسرار الدولة لا يجوز لهم إفشاؤه، وتوجه بالخطاب مرة ثانية لأعضاء المجلس فقال: «أيها السادة، أما وقد اختتمنا أعمال مجلسنا، فلم يبق إلا أن أتمنى لكم عامًا سعيدًا.» وقبل أن يرحل أعرب للكاتب — أخي تعيس الحظ — عن خالص أسفه لأنه مضطر لأن يحكم عليه بالسجن المؤبد من أجل الحفاظ على السرية، وسيرًا على نهج من سبقوه، وأضاف أنه إذا لم يذكر أي شيء عن الحدث الذي وقع ذلك اليوم، فسوف يبقون على حياته.

الفصل التاسع عشر

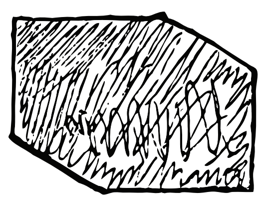
كيف أراني الكرة أسرارًا أخرى في سبيسلاند، وكيف ظللت مع ذلك متعطشًا إلى المزيد، وإلام انتهى ذلك

عندما رأيت أخي المسكين يقاد إلى السجن حاولت أن أثب إلى حجرة المجلس للتدخل من أجله، أو لكي أوجه له على أقل تقدير كلمة وداع، ولكنني وجدت أن حركتي لم تعد مرهونة بإرادتي، وأنني خاضع تمامًا لإرادة معلمي، الذي قال وقد غلف الأسى نبرات صوته: «لا تبتئس لما حدث لأخيك، ربما تجد فيما بعد متسعًا من الوقت لتعبر عن تعاطفك معه، اتبعني.»

(١)



(2)



وصعدنا في الفضاء مرة أخرى، وقال الكرة: «لم أعرض عليك حتى الآن شيئًا عدا الأشكال المسطحة وأجزاءها الداخلية، والآن عليّ أن أعرِّفك بالمجسمات، وأوضح لك التصميم الذي بنيت عليه، انظر إلى هذا العدد الكبير من البطاقات مربعة الشكل، أترى؟ أنا الآن أضعها واحدة فوق الأخرى — لا كما كنتَ تظن واحدة إلى الشمال من الأخرى،

وإنما واحدة أعلى الأخرى، وهأنذا أضع بطاقة ثانية وثالثة، انظر إنني أصنع مجسمًا من عدد كبير من المربعات المتوازية، وها أنا قد انتهيت منه، وجعلت ارتفاعه مساويًا لطوله وعرضه، ويسمى هذا المجسم عندنا مكعبًا.»

فأجبته: «معذرة يا سيدي ولكنه يبدو لي مضلعًا غير منتظم وقد ظهرت أجزاؤه الداخلية واضحة للعيان، أو بمعنى آخر، أنا لا أظن أنني أرى مجسمًا، بل مستوى كالذي نراه في الأرض المسطحة، لا يميزه إلا تشوه في الأضلاع يعد من السمات المميزة لعتاة المجرمين، حتى إن مرآه فقط يؤذي عيني.»

قال الكرة: «حقًّا إنه يبدو لك مسطحًا لأنك لم تعتد تأثير الضوء والظل وزوايا الرؤية، تمامًا مثلما يبدو المسدس في الأرض المسطحة خطًّا مستقيمًا لمن لا يعرف فن التعرف عن طريق البصر، ولكن هذا في الواقع أحد المجسمات، وستعرف عندما تتحسسه.»

ثم عرفني بالمكعب، ووجدت أن هذا الكائن البديع لم يكن بالفعل مسطحًا، وإنما مجسمًا ذا ستة أوجه وثماني نقاط طرفية يسمونها زوايا مجسمة، وتذكرت ما قاله الكرة من أن مثل هذا المخلوق يتكون من حركة المربع في الفضاء موازيًا لنفسه، وأسعدتني فكرة أن يكون مخلوق متواضع مثلي بطريقة ما سلفًا لذرية على هذا القدر من البهاء.

غير أنني لم أستطع بعدُ أن أدرك تمامًا ما يعنيه معلمي بكلمات «الضوء» و«الظل» و«زاوية الرؤية»، ولم أتردد في أن أستوضحه الأمر.

ومع أن تفسير الكرة لهذه الأمور تفسير محكم لا لبس فيه، فإنني لو قدمته هنا لكان لسكان سبيسلاند باعثًا على الملل، لأنهم يعرفون مسبقًا هذه الأشياء، ويكفي أن أقول إنه فسر لي كل شيء بتعبيراته الواضحة، وبتغيير أوضاع الأشياء ودرجات الإضاءة، وبالسماح لي بتحسس أشياء مختلفة حتى جسده المقدس، إلى أن صرت في النهاية قادرًا على التمييز بسهولة بين الدائرة والكرة، وبين الأشكال المسطحة والمجسمات.

كانت تلك نقطة القمة في تاريخ حياتي العجيبة الحافلة بالأحداث، كأنما رقيت إلى الفردوس، وعليّ من الآن فصاعدًا أن أروي قصة الخروج الحزين من الفردوس، الخروج المفجع الذي لم أكن أستحقه على الإطلاق، لماذا نشعل في الناس الظمأ إلى المعرفة ثم نقتل فيهم طموحهم، بل نعاقبهم عليه؟ صعب على نفسي أن أستعيد ذكرى مذلتي، غير أنني سأتحمل كما تحمل بروميثيوس — بل أكثر من ذلك — آملًا أن أنجح بطريقة أو بأخرى في بث روح الثورة في قلوب جميع البشر من المسطحات والمجسمات؛ الثورة على جمود

الفكر الذي يحدد أبعادنا ببعدين أو ثلاثة أبعاد أو أي عدد يقل عن اللانهائية. فلتذهب كل الاعتبارات الشخصية إلى حيث ألقت، سأواصل حتى النهاية كما بدأت دون مزيد من الانحراف عن الموضوع الأساسي ودون انتظار النتائج، سالكًا درب التاريخ الذي لا يعرف المحاباة، سوف ألتزم الدقة في تسجيل الكلمات والحقائق — وهي منقوشة في عقلي نقشًا — دون أن أبدل فيها حرفًا، وسيكون قرائي هم الحكم بيني وبين القدر.

وظل الكرة يلقنني دروسه ويعلمني بنية جميع المجسمات المنتظمة: الأسطوانات والمخاريط والمجسمات الهرمية، والمجسمات ذات الخمسة أوجه والستة أوجه وذات الاثني عشر وجهًا، والكرات، ولكنني تجرأت على مقاطعته، لم يكن ذلك لأنني سئمت من المعرفة، بل على العكس تمامًا، لأنني كنت أتوق إلى جرعات أكبر مما كان يقدمه لي.

فقلت: «معذرة يا من يجب بعد الآن ألا ألقبه برمز الجمال المطلق، ولكن هل لي أن أرجوك أن تسمح لخادمك بإلقاء نظرة على باطنك.»

الكرة: على ماذا؟

أنا: على باطنك، معدتك، أمعائك.

الكرة: ليس هذا بالوقت المناسب لهذا الطلب، ثم إنه لا يتعلق بما نحن بصدده، كيف تطلب مثل هذا الطلب؟ وماذا تعني بقولك أنني لم أعد رمز الجمال المطلق؟

أنا: سيدي، لقد علمتني حكمتك ذاتها أن أبحث عمن هو أعظم منك، وأجمل منك، وأقرب منك إلى الكمال، فكما أنك تفوق جميع الكائنات في الأرض المسطحة، ويجتمع فيك كثير من الدوائر، فلا شك أن هناك كائنًا يفوقك، ويجمع كثيرًا من الكرات في كيان واحد أعظم، يتفوق حتى على مجسمات سبيسلاند. وكما أننا الآن نحلق في الفضاء وننظر أسفل منا إلى الأرض المسطحة فنرى بواطن كل الأشياء فيها، فمن المؤكد أن هناك أرضًا فوقنا، أسمى وأقرب إلى الكمال من أرضنا، ولا بد أنك تنوي أن تقودني إليها، يا من سأظل ما حييت أدعوه — في جميع الأماكن وفي كل الأبعاد — كاهني وفيلسوفي وصديقي. فضاءٌ أرحب من فضائنا، أرضٌ ذات أبعاد أكثر من أبعادنا، ومن موقعها العلوي سننظر معًا ونرى بواطن المجسمات مكشوفة أمامنا، وستظهر أمعاؤك وأمعاء جميع الكرات لعين الرحّالة المسكين الذي نفي من الأرض المسطحة، والذي انكشفت له بالفعل كثير من الأسرار.

الكرة: هراء! كلام فارغ! كف عن هذه الترهات! لم يعد لدينا كثير من الوقت ولم يزل أمامنا الكثير لنفعله قبل أن تصبح أهلًا للتبشير بعقيدة الأبعاد الثلاثة لدى قومك الذين أعمى ظلام الجهل بصائرهم وأغشى أبصارهم.

أنا: لا يا معلمي الفاضل، لا تضن علي بعلم أعرف أن بوسعك أن تمنحني إياه، لا أطلب إلا نظرة خاطفة إلى باطنك، وسأكون راضيًا إلى الأبد، وسأبقى دومًا عبدك الذي لا يرجو من رِقِّه عتقًا، وتلميذك الطيِّع الذي يسير على تعاليمك، ويحيا على كلماتك.

الكرة: حسنًا إذن، دعني أخبرك في الحال — لعلك ترضى وتصمت — أنني لو كنت أستطيع أن أريك ما تريد لفعلت، ولكنني لا أستطيع، هل تريدني أن أخرج معدتي من أجل أن أرضيك؟

أنا: ولكنك يا سيدي قد أريتني أمعاء أهل بلادي جميعًا في الأرض ذات البعدين عندما أخذتني إلى الأرض ذات الأبعاد الثلاثة، وليس أيسر عليك الآن من أن تأخذ خادمك في رحلة ثانية إلى الأرض التي تحظى بالبعد الرابع، حيث ننظر معًا مرة ثانية إلى أسفل ونتطلع إلى هذه الأرض ثلاثية الأبعاد، فنرى ما بداخل جميع البيوت ثلاثية الأبعاد، ونكشف أسرار الأرض المجسمة، والكنوز التي تخبئها المناجم في سبيسلاند، وأحشاء جميع المخلوقات المجسمة، حتى طائفة الكرات أصحاب البهاء والرفعة.

الكرة: ولكن أين هذه الأرض ذات الأبعاد الأربعة؟

أنا: لا أعلم، ولكن لا شك أن معلمي يعلم.

الكرة: أنا لا أعلم، لا أعرف أرضًا بهذا الوصف، وأجد فكرة وجودها في ذاتها أمرًا يصعب تخيله.

أنا: أنا لا أراه أمرًا يصعب تخيله يا سيدي، ولذلك فلا بد أنه أيسر على أستاذي، وأنا على يقين أنك تستطيع بعلمك — حتى هنا في الأرض ثلاثية الأبعاد — أن تريني البعد الرابع، تمامًا مثلما استطعت بمهارتك أن تفتح عين خادمك على حقيقة الوجود غير الملموس للبعد الثالث، مع أنني لم أره بعيني.

دعني أستعد ما سبق، ألم تخبرني عندما كنا في الأرض المسطحة أنني عندما أرى بعيني الخط المستقيم وأستنتج بعقلي وجود المستوى فإنني أرى في حقيقة الأمر بعدًا ثالثًا غير ملحوظ يختلف عن البريق ويدعى «الارتفاع»؟ وألا يعني ذلك أنني عندما أرى بعيني في هذه الأرض مستوى وأستنتج بعقلي مجسمًا فإنني أرى في حقيقة الأمر بعدًا رابعًا غير ملحوظ يختلف عن اللون مع أنه متناه في الصغر ويتعذر قياسه؟

وهناك إلى جانب ذلك البرهان القائم على القياس.

الكرة: قياس! هراء، أي قياس؟

أنا: سيدي يختبر خادمه ليرى إن كان قد وعى ما أوحى به إليه، لا تستخف بي يا سيدي، فأنا أتحرق شوقًا إلى مزيد من المعرفة، والمؤكد أننا لن نستطيع أن نرى تلك

الأرض العليا (سبيسلاند العليا) الآن، لأننا لا نملك عيونًا في بطوننا، ولكن مثلما كانت الأرض المسطحة موجودة ولم يستطع ملك الأرض الخطية الضئيل الغرير أن يتحرك جهة اليمين أو اليسار ليراها، ومثلما كانت الأرض ثلاثية الأبعاد موجودة ودانية مني حتى إنها كانت تمس جسدي، ولكنني — أنا البائس الأحمق الأعمى — لم أكن أستطيع أن ألمسها، ولم تكن لي عين في جوفي لأبصرها، فلا بد أن هناك بالمثل بعدًا رابعًا يدركه سيدي بعين الفكر، وقد علمتني يا سيدي أن هذه الأرض لا بد أن يكون لها وجود، أم هل عساك نسيت ما علمتني إياه بنفسك؟

ألا تتحرك النقطة في بعد واحد لتصنع خطًّا مستقيمًا ذا نقطتين طرفيتين؟

ألا يتحرك الخط المستقيم في بعدين ليصنع مربعًا ذا أربع نقاط طرفية؟

ألا يتحرك المربع في أبعاد ثلاثة ليصنع كائنًا رائعًا ذا ثماني نقاط طرفية يدعى مكعبًا؟ ألم أر ذلك رأي العين؟

وبالمثل، ألن تصنع حركة هذا المكعب الرائع في أربعة أبعاد كائنًا أكثر منه روعة ذا ست عشرة نقطة طرفية؟

وتأمل هذا التتابع (٢، ٤، ٨، ١٦) الذي يعد دليلًا مؤكدًا، أليست هذه متوالية هندسية؟ ألا «يتفق ذلك اتفاقًا تامًّا مع القياس»؟ إذا سمحت لي يا سيدي أن أقتبس ما قلته لي.

وأعود فأقول ألم تعلمني يا سيدي أن الخط المستقيم تحده نقطتان، وأن المربع تحده أربعة خطوط، وأنه — قياسًا على ذلك — لا بد أن يكون المكعب محدودًا بستة أوجه؟ وتأمل مرة ثانية هذا التتابع الذي يؤكد ما أقول (٢، ٤، ٦)، أليست هذه متوالية حسابية؟ ألا يعني ذلك أن الذرية المقدسة التي ستأتي من المكعب المقدس في الأرض رباعية الأبعاد لا بد أن يحدها ثمانية مكعبات؟ ثم ألا «يتفق ذلك اتفاقًا تامًّا مع القياس» كما علمني سيدي؟

تأمل يا سيدي لقد آمنت إيمانًا قائمًا على الحدس دون أن أعرف الحقائق، وأتوسل إليك أن تؤكد أو تنفي توقعاتي المنطقية، وإذا كنتُ مخطئًا فسوف أسلم ولن أعود بعد ذلك إلى الحديث عن البعد الرابع، ولكن إذا كنتُ محقًّا فسوف يستمع سيدي إلى صوت العقل.

لذلك أسألك إن كان قومك قد شهدوا من قبل هبوط كائنات من رتبة تفوق رتبتهم، ودخولهم الغرف المغلقة — كما دخلت أنت غرفتي — دون أن يفتحوا بابًا أو نافذة،

وظهورهم واختفاءهم كما يشاءون، وأنا مستعد لأن أراهن بكل شيء على إجابة هذا السؤال، أجب بالنفي وسألتزم الصمت من الآن فصاعدًا، فقط أعطني ردًّا.

الكرة (بعد هنيهة من الصمت)**:** يقال ذلك، ولكن تختلف الآراء فيما يتعلق بالحقائق، وحتى عندما يعطون الحقائق فإن كلًّا منهم يفسرها تفسيرًا مختلفًا، وعلى أي حال فمع العدد الهائل من التفسيرات المختلفة لم يفكر أحد قط في نظرية البعد الرابع، ولذلك أرجوك أن تكف عن هذا العبث ولنعد لعملنا.

أنا: لقد كنت على يقين من ذلك، كنت على يقين من أن ظنوني في محلها، وأرجوك الآن أن تصبر معي وأن تجيب عن سؤال آخر، يا أفضل الأساتذة. هؤلاء الذين ظهروا بهذه الطريقة — ولا يعرف أحد من أين، ثم عادوا — ولا يعرف أحد إلى أين، هل تناقصت مساحة قطاعهم ثم تلاشوا بطريقة أو بأخرى في ذلك الفضاء الأرحب، إلى حيث أرجوك أن تذهب بي الآن؟

الكرة (محنَقًا)**:** المؤكد أنهم قد تلاشوا — إن كانوا قد ظهروا من البداية، ولكن معظم الناس يقولون إن مصدر هذه الرؤى هو العقل — أنت لن تفهمني — هو المخ، هو اضطراب عقل الناظر.

أنا: أيقولون ذلك؟ لا تصدقهم، ولو كان الأمر كذلك، لو أن هذا الفضاء الآخر لا وجود له إلا في العقول، فأرجوك إذن أن تأخذني إلى هذه المنطقة السعيدة حيث أستطيع أن أرى بعقلي ما بداخل الأشياء المجسمة، وأسعد برؤية المكعب إذ يتحرك في اتجاه جديد تمامًا — ولكنه يتفق اتفاقًا تامًّا مع القياس — ليجعل كل ذرة في جسده تتحرك في نوع جديد من الفضاء تاركة خلفها أثرًا خاصًّا بها، ويصنع كائنًا أقرب منه إلى الكمال ذا ست عشرة زاوية مجسمة، ويتكون محيطه من ثمانية مكعبات. وعندما نصل إلى هناك، هل نتوقف عندئذ عن العروج؟ هل ينتهي بنا المطاف على أعتاب البعد الخامس دون أن نَلِجه؟ لا، كلا، فلنعقد العزم على أن يزداد طموحنا كلما حلقت أجسادنا في عروجها إلى أعلى، وعندها ستتهاوى أمام غزوات عقولنا بوابات البعد السادس، وبعدها البعد السابع ثم الثامن ....

لم أدر متى كان يجب على أن أسكت عن الكلام، وعبثًا كرر الكرة بصوته الهادر أمره لي بالتزام الصمت، وتوعدني بأفظع العواقب إذا واصلت الكلام، ولكن لم يكن شيء قادرًا على الوقوف أمام سيل طموحاتي الجامحة. ربما أكون قد أخطأت، ولكنني

كنت منتشيًا بجرعات الحقيقة التي سقانيها بيده. ولم يطل الأمر كثيرًا، إذ قطع سيل كلماتي صوت ضجة عنيفة دوت في نفس الوقت داخل جسدي وخارجه، واندفعتُ في الفضاء بسرعة عجزتُ معها عن الكلام. كنت أهبط إلى أسفل بسرعة هائلة، وعلمت أن قدري المحتوم هو العودة إلى، الأرض المسطحة وألقيت نظرة أخيرة — نظرة لن أنساها ما حييت — على هذا القفر المسطح الذي سيغدو من جديد كل عالمي، رأيته ممتدًا أمام ناظري قبل أن يسود الظلام، ثم انتهي كل ذلك بصوت كهزيم الرعد. وعندما ثُبتُ إلى رشدي، كنت قد عدت ثانية مربعًا زاحفًا من العامة، أجلس في حجرة مكتبي بالبيت، وأنصت إلى صيحة السلام المميزة لزوجتي إذ تقترب.

الفصل العشرون

كيف جاءني الكرة في المنام ليشد من عزمي

لم يكن لدي إلا لحظة للتفكير، ولكنني أحسست تلقائيًّا أن عليَّ أن أكتم ما حدث عن زوجتي، ولم يكن الباعث على ذلك خوفي من أن تذيع سري، ولكنني كنت أعرف أن أي امرأة في الأرض المسطحة ستعجز عن فهم التجارب المثيرة التي مررت بها، ولذلك حاولت أن أطمئنها بقصة مختلقة فحواها أنني سقطت دون أن أنتبه عبر الفتحة المؤدية إلى القبو، وأنني ظللت هناك راقدًا فاقد الرشد.

إن قوة الجاذبية نحو الجنوب في بلادنا واهية جدًّا، ولا بد أن قصتي كانت تبدو عجيبة وأقرب إلى الاستحالة، حتى بالنسبة لامرأة. ولكن زوجتي لم تجادلني في الأمر، فقد كان ذكاؤها يفوق إلى حد بعيد متوسط ذكاء أترابها من النساء، كما أنها لاحظت أنني كنت منفعلًا على نحو لم تألفه، وهكذا أصرت على أنني مريض وأنني بحاجة إلى الراحة. وأسعدني أن وجدتُ ذريعة كي آوي إلى غرفتي لأعيد — في هدوء — تأمل ما حدث. وعندما خلوت آخر الأمر إلى نفسي، غالبني النعاس، ولكنني حاولت — قبل أن أغمض عيني — أن أتصور البعد الثالث في مخيلتي، وخاصة الطريقة التي يتكون بها المكعب من حركة المربع، لم تكن الصورة واضحة كما كنت أتمني، ولكنني تذكرت أن الحركة لا بد أن تكون «لأعلى، لا جهة الشمال»، وعزمت عزمًا أكيدًا على أن أحفظ هذه الكلمات كوسيلة ستقودني حتمًا — إذا فهمتها حق الفهم — إلى الحل، وهكذا ظللت أكرر هذه الكلمات «لأعلى، لا جهة الشمال» كأنها تعويذة سحرية حتى استغرقت في نوم عميق منعش.

ورأيت في نومي حلمًا، رأيتني مرة ثانية إلى جانب الكرة، وعرفت من تألق ضوئه أن ثورته علي قد هدأت وأنه قد صفح عني. كنا نتجه معًا صوب نقطة متألقة ولكنها

متناهية في الصغر، ولفت معلمي انتباهي إليها، وعندما دنونا منها شعرت أن طنينًا خافتًا ينبعث منها، طنينًا يشبه طنين الذباب عندكم في سبيسلاند، ولكنه أقل شدة إلى حد بعيد. كان هذا الطنين خافتًا حقًّا حتى إنه لم يصل لآذاننا — مع السكون التام للفراغ الذي كنا نحلق فيه — حتى توقفنا على مسافة من تلك النقطة تبلغ عشرين ذراعًا تقريبًا.

قال معلمي: «انظر هناك، لقد عشتَ في الأرض المسطحة، ورأيتَ في المنام الأرض الخطية، ومعي حلقتَ إلى أعالي سبيسلاند. والآن — حتى تكتمل خبرتك — أقودك إلى أسفل، إلى أدنى منازل الكون ... إلى مملكة الأرض النقطية ... إلى هاوية بلا أبعاد.»

«تأمل هذا المخلوق البائس، إن هذه النقطة كائن لا يختلف عني أو عنك، ولكنه أسير هذه الهاوية التي ليست لها أبعاد. إن هذا الكائن يحيا في عالم يقتصر عليه وحده ... في كون لا يشاركه فيه سواه، إنه لا يستطيع أن يتخيل مخلوقًا آخر غيره ... لا يعرف شيئًا عن الطول أو العرض أو الارتفاع؛ وأنَّى له العلم بتلك الأشياء؟! إنه لا يعرف حتى رقم اثنين، وليست لديه أي فكرة عن الجمع، لأنه هو في ذاته كل الكون بكل ما في الكون ... إنه — في حقيقة الأمر — لا شيء، ولكن تأمل رضاه التام عن ذاته، وتعلم من ذلك درسًا: إن الرضا عن الذات مرادف للانحطاط والجهل، وطموح المرء خير له من قناعة زائفة تعمي عينيه وتغُل يديه، والآن أنصت.»

توقف معلمي عن الكلام، وسمعتُ صوتًا صادرًا من ذلك المخلوق الضئيل ذي الطنين، صوتًا خفيضًا رتيبًا، ولكنه طنين واضح، كصوت الفونوغراف عندكم في سبيسلاند، واستطعت أن أميز هذه الكلمات: «يا لنعيم الوجود الأبدي! إنه سيد الكون بلا منازع.»

فقلت: «من الذي يقصده هذا المخلوق التافه بذلك؟» فرد الكرة: «يقصد نفسه، ألم تلحظ من قبل أن الأطفال ومن لم يشبوا عن طور الطفولة من الكبار — الذين يشعرون أنهم مركز الكون — يتحدثون عن أنفسهم بضمير الغائب؟ ولكن أرهف السمع.»

واصل ذلك المخلوق الضئيل مناجاته لذاته فقال: «إنه ملء الكون كله، وهو في ذاته الكون كله، يتحرك لسانه بما يجول بخاطره، وتسمع أذناه ما يتحرك به لسانه، وهو وحده صاحب الفكر والسمع والكلام، وهو وحده الفكرة والكلمة والصوت المسموع، إنه الأوحد، وهو كل الكائنات، يا له من نعيم ... نعيم الوجود!»

فقلت: «ألا تستطيع أن توقظ هذا الكائن الضئيل من غفلته؟ أخبره بحقيقته كما أخبرتني، أظهر له الحدود الضيقة للأرض النقطية، واذهب به إلى كون أسمى.» قال معلمي: «ليس هذا بالأمر الهين، جرب بنفسك.»

وعندئذ صحت بأعلى صوتي مخاطبًا النقطة:

«صه، اخرس أيها المخلوق الحقير. إنك تحسب نفسك سيد هذا الكون وواحده، ولكنك لا شيء على الإطلاق، وليس ما تدعوه كونك إلا ذرة في الخط المستقيم، وليس الخط المستقيم إلا ظلًّا إلى جانب ...» فقاطعني الكرة قائلًا: «صمتًا، صمتًا، لقد قلتَ ما يكفي، والآن أنصت، وتأمل وقْع خطبتك الرنانة على ملك الأرض النقطية.»

كان وهج الملك قد بلغ أقصى تألقه بعدما سمع كلماتي، وكان ذلك دليلًا واضحًا على أنه ظل على ما كان عليه من الإعجاب بذاته، ولم أكد أتوقف عن الكلام حتى عاد إلى أنشودته من جديد، فقال: «يا له من نعيم؛ نعيم الفكر. ما الذي يعجز عقله عن تحقيقه؟! تعود إليه أفكاره شاهدة على عظمته، فيزداد غبطة! يشتعل التمرد لينتهي بانتصاره! يا لها من قدرة إبداعية إلهية تلك التي يمتلكها! يا له من نعيم ... نعيم الوجود!»

قال معلمي: «أرأيت ضآلة ما صنعته كلماتك؟ ما دام الملك يستطيع أن يفهمها بطريقة ما، فسوف يظنها كلماته، لأنه لا يستطيع أن يتصور في الكون كائنًا سواه، وسوف يزهو بتنوع فكره كمثال على قدرته الإبداعية، لندع رب الأرض النقطية ينعم في جهله، ظانًّا أنه الموجود في كل مكان والعالم بكل شيء، فلن يستطيع أي منا أن يخلصه من غروره الأجوف.»

وفي طريق عودتنا بعد ذلك إلى، الأرض المسطحة أصغيت إلى صوت صاحبي وهو يوضح لي مغزى رؤياي، ويحثني على الطموح، ويوصيني أن أعلم الآخرين الطموح، واعترفَ بأنه غضب عندما أخبرته أول الأمر أنني أطمح إلى الوصول إلى ما وراء البعد الثالث، ولكنه قد ازداد علمًا منذ ذلك الحين، ولم يقف كبرياؤه حائلًا دون اعترافه بزلته أمام تلميذه، ثم أخذ يلقنني أسرارًا أعلى من تلك التي شهدتها، وأراني كيف تتكون (المجسمات العلوية) عن طريق حركة المجسمات، وكيف تتحرك (المجسمات العلوية) لتكوِّن مجسمات أخرى، وكل ذلك على نحو «يتفق اتفاقًا تامًّا مع القياس»، كل ذلك بوسائل بسيطة يسيرة يسهل فهمها حتى على النساء.

الفصل الحادي والعشرون

كيف حاولت أن أعلم حفيدي نظرية الأبعاد الثلاثة، وإلى أي مدى نجحت في ذلك

استيقظت من نومي مبتهجًا، وأخذت أفكر في المستقبل المبهر الذي ينتظرني، وخطر ببالي أن أمضي على الفور وأبشر في جميع أرجاء الأرض المسطحة، وهذا التبشير بعقيدة الأبعاد الثلاثة يجب أن يشمل الجميع حتى الجنود والنساء، وكنت على وشك أن أبدأ بزوجتي.

وما إن توصلت إلى قرار بشأن خطة العمل، حتى سمعت أصواتًا في الطريق تأمر بالصمت، ثم أعقبها صوت مدوٍ. كان صوت المنادي يخطب في الناس، وإذ أصخت السمع استطعت أن أتبين فيما يقول كلمات قرار مجلس الكهنة الذي يقضي باعتقال وسَجن أو إعدام كل من يضلل عقول الناس بالباطل ويزعم أنه قد تلقى وحيًا من عالم آخر.

تدبرتُ الأمر، كان هذا خطرًا لا يستهان به، ورأيت الأفضل أن أتجنبه بألا أتعرض لذكر ما جاءني من وحي، وأن ألتزم بطريقة الشرح العملي التي تبدو في النهاية وسيلة سهلة ناجحة، ولن أخسر شيئًا بالتخلي عن الوسائل السابقة. كانت عبارة «لأعلى، لا جهة الشمال» هي مفتاح البرهان كله، وكانت تبدو لي واضحة تمامًا قبل أن أخلد إلى النوم، وعندما استيقظت من النوم كانت الرؤيا لم تزل ماثلة في ذهني، وكانت العبارة واضحة لي كمبادئ الحساب، ولكنها — بطريقة ما — لم تعد تبدو بذلك الوضوح، وفي هذه اللحظة تمامًا دخلت زوجتي الغرفة، في الوقت المناسب، ولكنني قررت — بعد أن تبادلنا بضع كلمات في محادثة عادية — ألا أبدأ بها.

كان أبنائي المخمسات رجالًا فضلاء، وأطباء ذوي مكانة مرموقة، ولكنهم لا يجيدون الرياضيات، وهم لذلك لا يصلحون لتحقيق ما أهدف إليه، وخطر لي أن مسدسًا صغيرًا محبًّا للتعلم شغوفًا بالرياضيات سيكون أفضل تلميذ لي، ما المانع إذن أن أبدأ أولى

تجاربي مع حفيدي الصغير؟ إنه يحمل عقلًا أكبر من سنه، وقد لقيت ملحوظاته العفوية حول معنى ٣٣ استحسان الكرة؟ وسأكون بمأمن عندما أتناول هذا الأمر معه، فهو مجرد صبي صغير، لا يعي شيئًا عن قرار مجلس الكهنة، ولكن أبنائي ترجح عندهم كفة الوطنية وقداسة الكهنة على كفة العاطفة العمياء، وربما يشعرون أنهم مضطرون لتسليمي للحاكم إذا وجدوا مني إصرارًا على ترديد بدعة البعد الثالث التي تؤدي إلى اشتعال الفتن.

ولكن كان عليَّ — بادئ ذي بدء — أن أشبع فضول زوجتي بطريقة أو بأخرى، فقد كانت بطبيعة الحال ترغب في أن تعرف شيئًا عن الأسباب التي جعلت الضيف الغامض يطلب هذا اللقاء السري، وعن الطريقة التي دخل بها إلى البيت. ودون الدخول في تفاصيل القصة المعقدة التي قصصتها عليها — ويؤسفني أن أقول إنها قصة لا تتفق مع الحقيقة على النحو الذي يرضى عنه قرائي في سبيسلاند — فإنني أستطيع أن أقول راضيًا إنني نجحت في النهاية في إقناعها بالعودة في هدوء إلى واجباتها المنزلية، دون أن تفلت مني أي كلمة تشير إلى عالم الأبعاد الثلاثة. وبعد ذلك أرسلت على الفور في طلب حفيدي، لأنني — اعترافًا بالحق — شعرت أن كل ما رأيته وسمعته يتبخر من عقلي بطريقة غريبة، كأنه صورة ضبابية من حلم داعب مخيلتي، وكنت أتوق إلى اختبار مهارتي في أن أكسب إلى صفي أول المريدين.

وعندما جاء حفيدي أغلقت باب الغرفة بإحكام، ثم جلست إلى جواره وتناولت دفاتر الرياضيات، أو الخطوط كما تسمونها، وأخبرته أننا سنستأنف درس الأمس، شرحت له من جديد كيف تتحرك النقطة في بعد واحد لتصنع خطًّا مستقيمًا، وكيف يتحرك الخط المستقيم في بعدين ليصنع مربعًا، ثم اصطنعت الضحك وقلت: «والآن أيها الشيطان الصغير، لقد زعمتَ أن المربع قد يتحرك بطريقة ما «لأعلى، لا جهة الشمال» ليصنع شكلًا هندسيًّا آخر — نوعًا من المربعات العليا — في أبعاد ثلاثة، أعد علي ثانية ما قلتَ أيها العفريت الصغير.»

عندئذ سمعنا صيحة المنادي تتردد من جديد في الطريق «اسمعوا وعوا»، وكان يذيع على الناس قرار المجلس، وتلقى حفيدي هذا الموقف بسرعة بديهة لم أكن مهيأً لها، فقد كان — على صغر سنه — حاد الذكاء، وكان قد نشأ على التقديس الكامل لسلطة الكهنة، ظل الصغير صامتًا حتى خفت صوت آخر كلمات القرار، ثم انفجر في البكاء وقال: «أيا جدي الحبيب، لقد كنت أمزح ليس إلا، ولم أكن أقصد أي شيء على الإطلاق، ولم نكن

نعرف وقتها أي شيء عن القانون الجديد، وأظن أنني لم أذكر أي شيء عن البعد الثالث، وأنا على يقين أنني لم أنطق بكلمة واحدة عن «لأعلى، لا جهة الشمال»، فأنت تعلم أن هذا محض هراء، كيف يتحرك جسم ما لأعلى دون أن يتحرك جهة الشمال؟ لأعلى، لا جهة الشمال! لو أنني لم أزل بعدُ رضيعًا لما كنت بهذا الغباء، يا للسخف!!» ثم استغرق في الضحك.

فقلت محنقًا: «ليس سخفًا على الإطلاق، خذ هذا المربع على سبيل المثال»، والتقطتُ مربعًا متحركًا كان في متناول يدي، وواصلت الكلام قائلًا: «وها أنا أحركه كما ترى، ليس جهة الشمال ولكن ... أجل، أحركه لأعلى ... ويعني ذلك جهة الشمال، ولكنني أحركه في اتجاه ما ... ليس على هذا النحو بالتحديد، ولكن بطريقة ما ...» وعند ذلك أنهيت كلامي نهاية بلا معنى إذ أخذت أحرك المربع حركة عشوائية بلا هدف، فانفجر الصغير ضاحكًا بصوت عال، وقال إنني لا أعلمه وإنما أمازحه، ثم فتح الباب وركض خارج الغرفة، وبذلك انتهت أولى محاولاتي لإقناع تلميذ بعقيدة الأبعاد الثلاثة.

الفصل الثاني والعشرون

كيف حاولت بعد ذلك أن أنشر نظرية الأبعاد الثلاثة بوسائل أخرى، وماذا كانت النتيجة

لم يشجعني ما لقيته من إخفاق مع حفيدي الصغير على أن أنقل السر إلى آخرين من أفراد عائلتي، ولكنه لم يحملني أيضًا على اليأس من النجاح، كل ما حدث أنني رأيت أنني يجب ألا أعتمد اعتمادًا كليًّا على العبارة المفتاحية «لأعلى، لا جهة الشمال»، وأن عليَّ — بدلًا من ذلك أن أحاول البحث عن وسيلة إيضاحية تضع أمام العامة صورة واضحة للأمر برمته، وكان من الضروري أن ألجأ إلى الكتابة من أجل تحقيق هذا الهدف.

لذا مكثت شهورًا في عزلة أكتب بحثًا حول أسرار الأبعاد الثلاثة، ولكنني لم أتحدث عن بعد مادي تجنبًا للوقوع تحت طائلة القانون، ما أمكن ذلك، وإنما تحدثت عن أرض للخيال يستطيع المرء — نظريًّا — أن يطل منها على الأرض المسطحة، وأن يرى بواطن كل الأشياء في الأرض المسطحة في آن معًا، أرض يعيش بها كائن افتراضي يحيط به — إذا جاز التعبير — ستة مربعات، وتحده ثماني نقاط طرفية. ولكنني في تأليف هذا الكتاب وقفت عاجزًا أمام تعذر رسم الأشكال اللازمة لتحقيق ما أرمي إليه، فليس لدينا في الأرض المسطحة ألواح للكتابة وإنما خطوط، يجمعها كلها خط مستقيم واحد، ولا يميز بينها إلا الطول والبريق، ولذلك فعندما انتهيت من البحث (الذي أسميته: «من الأرض المسطحة إلى أرض الخيال») لم أكن متيقنًا من أن الكثيرين سيفهمون مقصدي.

في هذه الأثناء كانت حياتي كئيبة، فقدت كل المباهج سحرها، كانت كل المشاهد تعذبني وتغريني بالخيانة الصريحة، لأنني لم أستطع أن أقارن بين ما رأيته في بعدين بما هو عليه بالفعل لو رأيته في ثلاثة أبعاد، ولم أكن أستطيع منع نفسي من رفع صوتي

بهذه المقارنات. أهملت عملائي وعملي الخاص لأتفرغ للتفكر في الأسرار التي شاهدتها يومًا بعيني، والتي لا أستطيع مع ذلك أن أبوح بها لأحد، والتي أجد في استعادتها مشقة تزداد يومًا بعد يوم.

وذات يوم، بعد مرور أحد عشر شهرًا على عودتي من سبيسلاند، حاولت أن أرى مكعبًا وأنا مغمض العين، ولكنني فشلت في ذلك، ومع أنني نجحت فيما بعد، فإنني لم أكن حينئذ متيقنًا (ولم أكن متيقنًا بعد ذلك قط) أنني رأيت المجسم الأصلي. وأصابني هذا باكتئاب أكثر من ذي قبل، وحثني على القيام بخطوة ما، ولكن في أي اتجاه؟ لم أكن أدري. كنت أحس بأنني على استعداد للتضحية بحياتي في سبيل القضية، لو أنني أستطيع بذلك أن أقنع الآخرين، ولكنني أخفقت في إقناع حفيدي الصغير، فكيف أستطيع أن أقنع أكثر الكهنة ذكاء وأعلاهم مرتبة في بلادي؟

وكنت مع ذلك أفقد في بعض الأحيان السيطرة على نفسي فأتفوه بكلمات خطيرة، وكانوا يرونني بالفعل مارقًا إن لم أكن خائنًا، وكنت أعي تمامًا خطورة موقفي، ولكنني لم أكن أستطيع في بعض الأحيان أن أمسك لساني — عن الانفجار أحيانًا في سيل من الكلمات التي تثير الريبة وتحرض نوعًا ما على الفتنة، حتى بين أعلى طبقات الدوائر والأشكال عديدة الأضلاع. فعندما كان يثار — على سبيل المثال — الحديث حول مسألة التعامل مع هؤلاء المخابيل الذين يقولون إنهم مُنِحوا القدرة على رؤية بواطن الأشياء، كنت أستشهد بواحد من الكهنة القدامى كان يقول إن العامة دائمًا يرون أن الأنبياء وأصحاب الفكر مخابيل. ولم أكن أستطيع منع نفسي من آن لآخر من استخدام بعض التعبيرات مثل: «العين التي تبصر بواطن الأشياء» و«أرض الرؤية المطلقة»، حتى إنني استخدمت — مرة أو مرتين — الكلمات المحرَّمة «البعد الثالث والبعد الرابع». وكان خاتمة هذه الأفعال الطائشة في اجتماع لرابطة المفكرين، كان الاجتماع منعقدًا في قصر الحاكم نفسه، وكان واحد من الحمقى يقرأ بحثًا معقدًا عرض فيه للأسباب الدقيقة التي جعلت العناية الإلهية تقضي بأن تكون الأبعاد محدودة في بعدين، والأسباب التي جعلت الرؤية المطلقة صفة للخالق وحده. وتخليت تمامًا عن الحذر حتى إنني رويت بدقة أحداث رحلتي مع الكرة إلى الفضاء ثلاثي الأبعاد، وإلى قاعة الاجتماعات في الحاضرة الكبرى، ثم عودتنا إلى الفضاء مرة أخرى، وعودتي إلى بيتي. وتحدثت عن كل ما رأيت وسمعت في الحقيقة أو في الرؤيا، وكنت أدَّعي — أول الأمر — أنني أصف أحداثًا خيالية وقعت لشخص خيالي، ولكن سرعان ما دفعني حماسي إلى تمزيق الأقنعة الزائفة

كلها. وأخيرًا، وفي ختام واحدة من خطبي الحماسية، دعوت مستمعيَّ جميعهم إلى طرح التعصب جانبًا والتحول إلى الإيمان بالبعد الثالث.

ومن نافلة القول أن أذكر أنني قد اعتُقلت في الحال، واستُدعيت للمثول أمام مجلس الكهنة.

وفي الصباح التالي، وقفت في الموضع نفسه الذي وقفت فيه إلى جانب الكرة منذ ما لا يزيد على بضعة أشهر، وأُذن لي أن أحكي قصتي كاملة من البدء حتى النهاية دون أن يقاطعني أحد أو يوجه لي أي أسئلة. ولكنني عرفت نهايتي منذ اللحظة الأولى، لأن رئيس المجلس عندما لاحظ أن مجموعة من الطبقة الراقية من رجال الشرطة — لا تكاد زاويتهم تقل عن خمس وخمسين درجة — تتولى الحراسة، أمرهم بالانصراف قبل أن أبدأ دفاعي، واستبدل بهم مجموعة من طبقة أدنى تتراوح زاويتهم بين درجتين وثلاث درجات. وكنت أعرف جيدًا ما يعنيه ذلك؛ إنني سأقاد إما إلى السجن أو الإعدام، وسيكتمون عن الناس قصتي عندما يتخلصون ممن استمع إليها من المسئولين، ومن ثم كانت رغبة الرئيس أن يستبدل بذوي المكانة من الضحايا، ضحايا لا وزن لهم.

وبعد أن أنهيت دفاعي، وجه لي الرئيس سؤالين، ربما بسبب ما أحسه من تأثر بعض حديثي السن من الكهنة بما لمسوه من صدق كلامي، فسألني:

(١) هل أستطيع أن أوضح الاتجاه الذي قصدته بكلماتي: «لأعلى، لا جهة الشمال»؟

(٢) هل أستطيع باستخدام الرسم الهندسي أو الوصف (دون أن ألجأ إلى عد أضلاع وزوايا خيالية) أن أوضح الشكل الذي أطلقت عليه اسم المكعب؟

فأعلنتُ أنني ليس عندي ما أضيفه، وأن عليَّ أن ألزم طريق الحق، الذي ستعلو رايته حتمًا في النهاية.

قال الرئيس إنه يتفق معي تمامًا في الرأي، وأن التزام الصدق هو خير ما أفعله. وأعلن أنني سأقضي ما بقي من حياتي بين جدران السجن، ولكن لو شاء الحق أن أخرج من سجني وأبشر للعالم كله، فعليَّ أن أومن بأن إرادة الحق نافذة. ولن يُفرض عليَّ في السجن أن أتحمل من المكاره إلا ما هو ضروري لمنعي من الهرب، وما لم أضحِّ بهذه المزية بإساءة السلوك، فسيسمح لي من آن لآخر أن ألتقي بأخي، الذي سبقني إلى السجن.

مضت سبع سنوات، ولم أزل سجينًا محرومًا من الصحبة البشرية — إذا استثنيت زيارات أخي المتباعدة — فيما عدا حراسي، إن أخي واحد من أفضل المربعات، يتميز

برجاحة العقل والتفاؤل والمودة الأخوية، ولكنني أعترف بأن لقاءاتنا الأسبوعية كانت تصيبني — على الأقل من أحد الجوانب — بأسى شديد، فقد كان أخي حاضرًا عندما ظهر الكرة في قاعة اجتماعات المجلس، ورأى قطاعات الكرة وهي تتغير، وسمع ما قاله الرئيس عندئذ للكهنة لتفسير هذه الظواهر، ومنذ ذلك الحين، لم يكد يمر أسبوع طيلة السنوات السبع دون أن أحكي له الدور الذي اضطلعت به في هذا الظهور، ودون أن أصف له جميع الظواهر في سبيسلاند وصفًا دقيقًا، وأذكر له البراهين القائمة على القياس التي تثبت وجود المجسمات، ولكنني لا أجد مناصًا من الاعتراف المخجل بأن أخي لم يع بعد طبيعة الأبعاد الثلاثة، ويجاهر علانية بتكذيبه بوجود الكرة.

وأجدني — من ثم — بلا أتباع على الإطلاق، ولا أرى غير أن ما أوحي إليَّ في الألفية كان بلا جدوى. كان بروميثيوس يرسف في الأغلال في سبيسلاند لأنه أهدى النار للفانين، ولكنني أنا — بروميثيوس الأرض المسطحة المسكين — قابع هنا في السجن دون أي مبرر على الإطلاق. غير أنني أحيا على أمل أن تجد هذه المذكرات — بطريقة ما — طريقها إلى عقول البشر في بعد ما، وأن تحرض جيلًا من المتمردين على الثورة على تحديد الأبعاد.

هذا هو الأمل الذي أرنو إليه في لحظات سعادتي، ولكن للأسف ليس الأمر دائمًا على هذا النحو، فأحيانًا يثقل كاهلي خاطر مؤلم؛ وهو أنني لا أستطيع أن أقول بصدق إنني على ثقة من الملامح الدقيقة لشكل المكعب الذي لم تره عيني غير مرة، والذي كثيرًا ما تتوق إليه روحي، وتلح علي في الأحلام كل ليلة تلك الكلمات الغامضة: «لأعلى، لا جهة الشمال»، كأنها لغز من ألغاز أبي الهول.[1] وهناك آونة أعاني فيها ضعف القوى العقلية، وهذا بعض من العذاب الذي أقاسيه من أجل قضية الحق، وفي تلك الآونة تتراجع المكعبات والكرات إلى خلفية وجودي الذي لا يكاد يحتمل، وتبدو أرض الأبعاد الثلاثة وهمًا كالأرض الخطية والأرض النقطية، بل إن هذه الجدران القاسية التي تحول بيني وبين حريتي، وهذه الدفاتر التي أكتب فيها، وكل ما هو واقع ملموس في الأرض المسطحة، لا يبدو إلا نتاج خيال مريض، أو أضغاث أحلام.

[1] كان أبو الهول في الأساطير الإغريقية يطرح على العابرين سؤالًا عسيرًا ويلتهم من يعجز منهم عن حله، حتى استطاع أوديب أن يحل اللغز، فقتل أبو الهول نفسه.